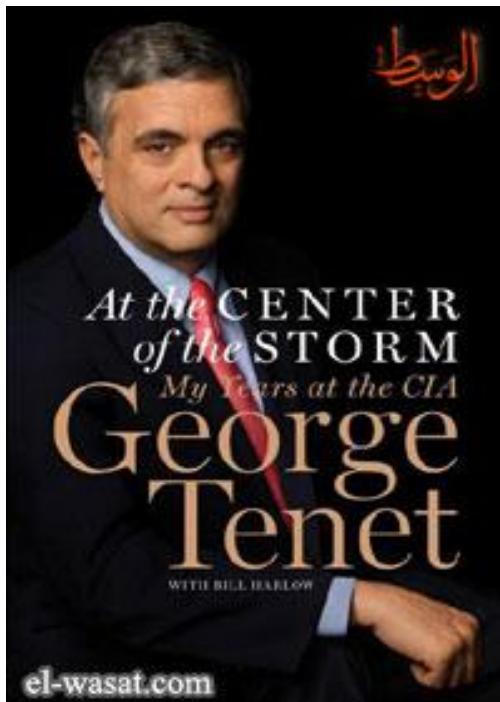


خفايا غزو العراق في مذكرات مدير CIA جورج تنت



في قلب العاصفة .. سنواتي في CIA جورج تنت

هذا عرض لكتاب "في قلب العاصفة" لمؤلفه مدير المخابرات الأمريكية السابق جورج تينيت في عهد الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن، وهو الكتاب الذي أثار عاصفة سياسية في الولايات المتحدة وخارجها ،

فالكتاب زاخر بالمعلومات الدقيقة عن مقدمات غزو العراق واحتلاله من رجل كان على رأس هذا الجهاز الخطير لسبع سنوات . وقد قام بعرض الكتاب مجدي كامل على النت.

العراق سيدفع الثمن

شعرت بالحاجة لكي أتواري قليلاً قبل أن أكتب و أن أتكلم!! في يوم الأربعاء الثاني عشر من سبتمبر ، الذي شهد بزوج فجر أول يوم شهد عالماً جديداً أصابه الجنون . لا شيء البتة سيعود إلى سابق عهده . في ساعة مبكرة من صباح ذلك اليوم ، و بعد ساعات نوم قليلة للغاية ، اجتررت الباب ، لأستقل مروحية كانت بانتظاري ، لكي تمضي بي لرؤيه رئيس الولايات المتحدة . كانت إجراءات الأمن حول بيتي في ضاحية ميريلاند بوشنطن أكثر تشدداً عن ذي قبل. و عند وصولي إلى البيت الأبيض رأيت أفراد الخدمة السرية المكلفين بحماية الرئيس ، و المدججين جميعهم بالسلاح ، قد غطوا كل شبر من الأرض . و بدت الطائرات الحربية في السماء تحرس العاصمة الأمريكية . فمنذ أقل من أربع وعشرين ساعة ، تعرضت أمريكا لهجوم بواسطة جيش غير نظامي . و قد لقي الآلاف حتفهم في مدينة نيويورك و وزارة الدفاع الأمريكية " البنتاجون " ، و في أحد حقول بنسلفانيا.

بالنسبة لنا في وكالة المخابرات الأمريكية ، فقد كان لدينا سبباً جيداً يجعلنا نعتقد أنه ربما تكون هناك هجمات أخرى في الطريق خلال الساعات ، أو الأيام التالية . ، وأن هجمات 11 أيلول ليست سوى مفتاح لهجوم على المعالم و الواقع الرئيسية داخل أمريكا.

في اليوم التالي لهجمات 11 أيلول، التقى المسؤول السابق في وزارة الدفاع وأحد أبرز مفكري المحافظين الجدد ريتشارد بيرل ، بينما كان خارجاً من البيت الأبيض. وقد فوجئت ببيرل ، الذي لم يكن يشغل منصباً رسمياً في الإداره الأمريكية ، يقول : على العراق أن يدفع

ثمن ما حدث بالأمس. إنه يتحمل المسؤولية. وقد صدمني ما سمعت ، فالتفت إلى الخلف سائلاً نفسي: " ما الذي يتحدث عنه هذا الرجل بحق الجحيم ". كما راحت أتساءل عن سبب وجود بيرل في البيت الأبيض في أولى ساعات صباح ذاك اليوم تحديداً؟ إن بوش وصقروره وصلوا البيت الأبيض والنية مبيتة لغزو العراق و استغلوا أجواء أيلول لغسل مخ الأميركيين وكسب تأييدهم للحرب. وسيظل الموعد المحدد ، الذي أصبح فيه غزو العراق أمراً حتمياً ، أحد أكبر الألغاز بالنسبة لي

و بعودة إلى البيت الأبيض صبيحة الهجمات ، و عند نقطة التفتيش الأمني التابعة للخدمة السرية ، عدت بناظري إلى بيرل و فكرت : ما هذا الهراء الذي يتحدث عنه؟ .. و ما هي إلا لحظة واحدة ، إلا ووجدت فكرة أخرى تهاجمني : من الذي كان ريتشارد بيرل يقابلة في البيت الأبيض في هذه الساعة من الصباح الباكر لهذا اليوم العصيب الذي لم نشهده من قبل؟ .. الحقيقة أنني لم أعرف أبداً إجابة هذا السؤال و للأفضل و الأسوأ ، فقد شكل الإرهاب و العراق القضيتين الرئيسيتين اللتين أصبحتا من صلب عملي طيلة سنواتي السبع كمدير للمخابرات المركزية والى ان استقلت من منصبي في شهر يوليو عام 2004 . لقد طفت هاتين القضيتين على سائر القضايا الأخرى التي تتعامل معها المخابرات الأمريكية ، و كل القضايا الأخرى التي قابلتني أثناء مشواري الوظيفي في المخابرات بأكمله . و على الرغم من أنني لم أدرك ذلك ذاك اليوم ، إلا أنني وصلت إلى اعتقاد مفاده أن لقائي العابر مع ريتشارد بيرل صباح يوم 11 سبتمبر ، و ما قاله من كلمات كان في غاية الخطورة . و لأنني نشأت في مدينة نيويورك في حي كوينز لأب مهاجر ينتمي لطبقة العمال ، فقد كان من المستحيل على أن أتخيل أنني سأجد نفسي في مثل هذا الموقف . لقد كنت أحلم دائمًا بوظيفة حكومية ، و لكنني لم أفك و لو للحظة واحدة أنني سوف أعيش في العالم الخفي للمخابرات . و الآن أفك في سلسلة التقلبات و التأرجحات الوظيفية التي جعلتني أجد نفسي أمام مرآيا متوضعة .

إن كتابي هذا كشف حساب لجهودي و زملائي في مواجهة الإرهاب واعتراف بكل أخطائنا، و لا بد من منحنا ما تستحق من تقدير!! و بينما أمضى في عملي الوظيفي ، فإذا بي أجد المخابرات تنقسم إلى ما هو

مثير و ما هو محبط ، لأنها بالتحديد تتعامل مع كل ما هو غامض و مجهول و خفي بطريقة متعمدة . و ما يحاول أعداء الولايات المتحدة جاهدين إخفاذه ، يعمل رجال و نساء المخابرات المركزية جاهدين للكشف عنه . و على مدى حياتي العملية ، و باتباعي قيم المخابرات ، حاولت أن أحد من ظهوري أمام العامة . و عندما رحلت عن الحكومة ، شعرت بالحاجة إلى التواري لبعض الوقت ، كي أمنح نفسي فرصة للتفكير قبل أن أكتب ، أو أتكلم . و بعد أن استفدت من عنصري الوقت و التأمل وصلت إلى قناعة بأن هناك التزام في عني بأن أتقاسم بعض الأشياء التي تعلمتها و خبرتها إبان عملي في المخابرات الأمريكية . و شعرت بأنني مدين لأسرتي ، لزملائي السابقين و للتاريخ بأن أ Finch عن كل ما أستطيع الإفصاح عنه حول الأحداث التي عايشتها . و تعتمد مذكراتي على إعادة تجميع أحداث جسام شهادتها فترة عصيبة من تاريخ أمتنا . و هذا العمل لا يتلوى فقط الموضوعية في التناول ، و إنما حرصت على أن يلتزم الأمانة و التجرد من الذات . هناك الكثير من الأشياء التي أفتر بعملها أثناء أدائي مهام وظيفتي كمدير للمخابرات المركزية ، كما أن هناك أشياء أخرى كنت أتمنى عملها . كما يتضمن كتابي – كما سيرى القارئ في صفحاته – اعترافات مني بأخطاء ارتكبها أنا و الوكالة التي كنت أتولى إدارتها . و عندما اتناول مناسبات كان أداوتها فيها قوية ، أتمنى أيضاً أن تكون هذه التأكيدات محل التقدير العادل و اللائق . إن هذا الكتاب يعكس كيف كانت تبدو الأشياء بالنسبة لي ، في الوقت الذي كنت أجده نفسي فيه وحدي في قلب العاصفة . حيث كنت تجد نفسك مسؤولاً عن التعامل مع قضايا اكتشفتها من موقعك ، و من موقعك هذا الموقع كنت أجلس لأرى موجة المد الإرهابي . و من موقعك حيث أجلس ، كنت أرى أيضاً وكالتي حيث تعمل مجموعة صغيرة من المحاربين ، في عزلة ، و دون تمويل ، يسبحون جميعهم وحدهم ضد هذا المد الإرهابي .. يدقون ناقوس الخطر .. يذرون .. يردعون .. يقطون مضاجع .. و يحاولون تدمير حركة إرهاب عالمية تعمل في سبعين دولة تقريباً، وتصر على تدميرنا .

هذه هي قصة الطريقة التي نظرنا بها إلى التهديد ، و ما فعلناه حياله ، كيف توصلنا إلى قناعتنا ، والسبب وراء الاستعداد الذي كان عليه رجال و نساء وكالتنا المركزية لتنفيذ خطوة عمل للرد بالقوة على

ضياع أرواح 3 آلاف أمريكي و أجنبي . إنها أيضاً قصة لم ترو بعد عن فيض التحذيرات التي لم يحسب حسابها بعد لهجمات محتملة إذا ما تمت مقارنتها بهجمات 11 سبتمبر فإن الأخيرة ستبدو ضيلة . فوجئت بريتشارد بيرل صبيحة هجمات 11 سبتمبر في البيت الأبيض يحمل العراق المسئولية و يتحدث عن الثمن الفادح الذي لا بد أن يدفعه!! لقد حاول كبار المسؤولين في إدارتين خدمت فيما .. إدارة الرئيس السابق بيل كلينتون ، و إدارة الرئيس الحالي جورج بوش .. حاولوا أن يفعلوا ما يرون أنه الأفضل لأمريكا . و يتبعين أن يدور النقاش حول نتائج عملهم و وسائل التي اتبعواها ، و لا ينبغي أن يكون هذا النقاش حول دوافعهم . و عندما نأتي إلى الطريقة التي تعاطت بها الحكومة الأمريكية مع العراق سنجده أبطالاً قليلين في واشنطن و لكن هناك الكثيرين منهم على أرض الميدان في هذه الدولة المضطربة . و عندما نأتي للحديث عن الحرب ضد الإرهاب فعلى الرغم من أن هناك الكثير من الأبطال في واشنطن ، و أماكن أخرى حول العالم ، فإن الحكومة نفسها هي التي ضلت طريقها و هي تسير نحو بغداد ، بعد أن أظهرت أداء رائعاً عندما اجتاحت معاقل القاعدة في أفغانستان بعد 11 أيلول و قد اضطاعت وكالة المخابرات المركزية بمهمة ضخمة بشجاعة عظيمة و تصميم لا يصدق . و نحن لم نقرأ سوى القليل عن هؤلاء الأبطال . إدارة بوش ضلت الطريق عندما زحفت نحو بغداد بعد أداء رائع ضد معاقل القاعدة في أفغانستان!! و مع كل الأعباء التي كنت أنوء بها و كل الضغوط التي كنت أ تعرض لها كمدير للمخابرات المركزية ، فإني لعلني يقين بأنني كنت الأفضل في الحكومة من حيث ما قدمته إبان عملي . و لطالما كانت أعظم لحظات السعادة بالنسبة لي هو ذلك التفاعل اليومي مع العاملين في وكالتي من رجال ونساء كانوا يتحدون الخطر و يخاطرون بحياتهم كل يوم لحماية أمتنا . لقد كانت لدى الفرصة لكي أخدم بلادي ، و أبذل ما بوسعي لكي أحافظ عليها آمنة في أوقات الشدائـد . قد لا أكون قد نجحت في كل المناسبات ، و لكنني أشعر بالراحة لأنني كنت هناك في خضم الأحداث ، أؤدي ما علي ، و أنا أفضل لكي أفعل ما هو صواب .

فقط في الولايات المتحدة الأمريكية يمكن لسليل أسرة مهاجرة بسيطة مثلـي أن يصل لما وصل إليه!! فقط في الولايات المتحدة الأمريكية ، يمكن لسليل أسرة مهاجرة أن يحظى بمثل هذه الميزة . و

سوف أظل و للأبد شاكراً لجميل جون و إيفانجليا تينيت، أبي و أمي ،
الذان رحلا عن قراهم في اليونان لإعطائي هذه الفرصة. فرصة تعينني
مديراً ل CIA .

إنهم قادمون إلينا.. ورایس كانت تعلم

بعد فيض من التحذيرات بتجمع نذر العاصفة ، و ما سبق من تقارير مؤلمة حول استعدادات القاعدة لمحاجمتنا في أي مكان بالعالم ، بدأت الصورة تتضح أكثر من خلال سلسلة هجمات تعرضنا لها خلال السنوات الثلاث السابقة على زلزال 11 سبتمبر أخطرها تفجير القاعدة لسفارتينا في العاصمة الكينية نيروبي ، ودار السلام عاصمة تنزانيا في عام 1998 ، وهجوم آخر شنته بالمتغيرات على المدمرة الأمريكية " يو إس إس كول " عند سواحل اليمن في 12 أكتوبر عام 2000 . وهذا بح صوتي وصوت العاملين في وكالتي من كثرة نداءاتنا لإدارة الرئيس كلينتون لكي تستمع إلينا ، وتوافقنا على الذهاب إلى معقل القاعدة في أفغانستان لاستئصال التهديدات من جذورها . وقلنا إنه لم يعد لدينا ترف الانتظار ، وأن هذا الانتظار ليس في صالحنا ، وأننا سنشهد حتما – إذا تلکأنا – مزيداً من الهجمات.

و قد أكدت لجنة التحقيق في هجمات سبتمبر – فيما بعد – أن " الولايات المتحدة تقاعست عن الرد على الهجوم على المدمرة كول . " وقد كانت البلاد وقت تفجير كول في منتصف حملة انتخابات الرئاسة الأمريكية ، والتي انتهت بأزمة دستورية ، حالت دون إعلان اسم المرشح الفائز سواء الجمهوري بوش ، أم منافسه الديمقراطي آل كور . ورغم تغيير الإدارة فقد بقي الحال كما هو عليه . ففي الثاني عشر من ديسمبر عام 2000 أعلنت المحكمة الدستورية جورج بوش الرئيس الجديد للولايات المتحدة بقرار صدر بأغلبية 5 أصوات مقابل أربعة ، وإذا ما كنت تصدق ما أقوله في كتابي هذا ، فإنني سأقول لك إنني كنت أعرف أن محصلة هذه الانتخابات ، وما سيتخض عنها من وصول بوش إلى ابن للرئاسة قبل عامين من إجرائها ، عند إعادة الكونجرس تسمية " سي . آي . إيه " في نهاية حكم كلينتون ، لتصبح " مركز جورج بوش للإستحبارات " تكريماً للرئيس السابق جورج بوش الأب.

بعد تولي بوش بدأنا نواصل تقديم الموجز الاستخباراتي اليومي للرئيس ، ولكن بواسطتي وفي البيت الأبيض ويداً بيده – بناء على طلبه – وأبلغنا مساعدو بوش حتى منذ الفترة الانتقالية عقب قرار المحكمة وتصديق الكونجرس على تعيينه رئيساً على أنه يريد تقديم الموجز

الاستخباراتي يومياً وعلى مدى ستة أيام في الأسبوع . وبالنسبة لنائب بوش ديك تشيني الذي كان يطبع بحكم موقعه على الموجز الذي نقدمه ، فقد كان لا يضاهي آل جور نائب كلينتون في معرفته بطبيعة عمل المخابرات.

و خلال الفترة التي سبقت هجمات سبتمبر كانت أجلس مع كوفر بلاك رئيس مركز مكافحة الإرهاب في CIA وفريق عمله لمعرفة ما يمكن عمله في ضوء التسامي المتتسارع لتهديدات القاعدة ومنها سعيها للحصول على أسلحة الدمار الشامل واتفقنا على ضرورة تدعيم التحالف الشمالي بزعامة أحمد شاه مسعود لمواجهة باكستان التي تضم عناصر حتى على المستوى الرسمي تساعده طالبان والقاعدة في الوقت الذي نوجه فيه ضربات صاروخية قاسمة لتدمير معاقل التنظيم الإرهابي . وفي أول اجتماع أسبوعي لي مع مستشاررة الرئيس بوش للأمن القومي كوندوليزا رايس في 29 كانون الثاني 2001 ، عرضت تهديدات القاعدة وقدمت لها خطوات محددة لدرء الخطر ، وأهمها خطة متكاملة لضرب معاقل القاعدة في أفغانستان بالصواريخ ، بالتزامن مع تحديد باكستان أولأ ثم دفع رئيسها برويز مشرف للتعاون ثانياً ، في الوقت الذي ندعم فيه التحالف الشمالي لإسقاط طالبان . و منذ تلك اللحظة ، وأنا أدق ناقوس الخطر في جميع اجتماعاتي الأسبوعية مع رايس مراراً وتكراراً محذراً من التفاف عن مواجهة القاعدة و عناصر تنظيمها النشطة في أمريكا . ولم أكن الوحيدة الذي حذر رايس ، فهناك أيضاً مساعدتها ديك كلارك مسئول مكافحة الإرهاب في مجلس الأمن القومي الذي تتولى هي رئاسته ، والذي انزعج مثلي من عدم اهتمام إدارة بوش بقضية الإرهاب في بداية توليتها ، وكانت لديه الرغبة في إعادة وضع هذه القضية الملحة في بؤرة اهتمام بوش وفريق عمله . و قام كلارك بإعداد مذكرة عاجلة أوصى فيها ببدء اتخاذ إجراءات فورية ضد تنظيم القاعدة . وحملت مذكرة كلارك عنواناً يقرأ " استراتيجية الحد من تهديد الشبكات الجهادية للقاعدة : الوضع الراهن وسبل المواجهة ." وأوصى كلارك بعمل عسكري يتم فيه مهاجمة قيادة و مراكز السيطرة التابعة للقاعدة والبنية التحتية لنظام طالبان . وأبدى كلارك في مذكرة لرايس مخاوفه من احتمالات وجود عناصر نشطة للقاعدة داخل الولايات المتحدة . وقد علمت أن كلارك أرسل في 25 يناير 2001 مذكرة أخرى

إلى رئيس بيبلغها فيها أن هناك حاجة ماسة لعقد اجتماع عاجل لقيادات مجلس الأمن القومي لبحث ستراتيجية مواجهة القاعدة المقترحة في مذكرة الأولى ، ولكن للأسف لم يتم عقد هذا الاجتماع. طلبنا من رئيس قبل الهجمات مباشرة صلاحيات لمطاردة بن لادن وقتلها أو اعتقاله فطلبت منه سحب الطلب!! وفي مارس من نفس العام 2001 ، توجهت إلى ستيفن هادلي نائب رئيس في مجلس الأمن القومي وسلمته قائمة بصلاحيات نريد الحصول عليها لمطاردة بن لادن ، ولكنه طلب منه بعد يومين سحب الطلب ، وقيل لنا أن الإداره ستعيد النظر في سياستنا تجاه القضية برمتها ، ولم يتم أي شيء من هذا القبيل. وفي 30 مايو 2001 ، أصطبحت معى إلى اجتماعي الأسبوعي مع رئيس جون ماكلوكين وكوفربلاك وريتش بى (لا يمكنني أن أعرفه أكثر هنا) أحد كبار مساعدى كوفر . وكان برفقة كوندى في الاجتماع ديك كلارك وماري ماكارئي . وعرض ريتشارد كوندى على أن هناك هجوماً قادماً ضد الولايات المتحدة . وكانت وبحق مرعبة . وأبلغنا رئيس في الاجتماع أن أحد كبار نشطاء القاعدة ويدعى أبو زبيدة يخطط لمحاكمة طائرات ركاب . وبعد ذلك قدمنا أنا وكوفر قائمة بمخططات للقاعدة تمكنا من رصدها ، وهجمات توصلت تقاريرنا إلى أن القاعدة ستنفذها . وفي هذه القائمة هجوم لإرهابيين يمنيين ضد الأردن وتخفيض جماعة باكستانية لمحاكمة الجالية الأمريكية في جدة بالقابل ، وتخفيض جماعة كولومبية لمحاكمة عدة أهداف في العاصمة بوجوتا منها السفارة الأمريكية ، وإعداد حزب الله العدة لعمليات إرهابية واسعة النطاق في جنوب شرق آسيا ، وتخفيض جماعة متطرفة لمحاكمة سفارتنا في العاصمة اليمنية صنعاء ، ومغادرة 4 سعوديين دولة الإمارات إلى الكويت لمحاكمة مصالح أمريكية ، ورصد 3 عناصر كان قد تم القبض عليها في ماليزيا لمرافق وسفن أمريكا هناك لضربها ، واحتراق السلطات الإيطالية في شهر يوليو لخلية إرهابية جزائرية كانت تخاطط لهجوم ضد السفارة الأمريكية في روما أو الفاتيكان ، وتخفيض قيادي القاعدة في أفغانستان ، الذين دبروا الهجوم على المدمرة كول ، لهجمات جديدة ضد الولايات المتحدة

، بالإضافة إلى خطيب المصري أيمن الظواهري كبير مساعدي بن لادن لهجمات كبرى في أوروبا.

وفي العاشر من يوليو 2001 ، وبفعل أكداس التقارير التي لا تقبل الدحض ، والأخطار والتهديدات ، التي لا تخطئها العين ، ويшибب لها شعر الرأس ، بادرت بدوري إلى التقاط سماعة الهاتف ، في إصرار من جانبي على لقاء فوري مع رايس لإطلاعها على تهديد القاعدة . وبدأت الاجتماع بجملة استهلالية هي " هناك هجوم إرهابي كبير سيقع في الأسبوع أو الشهور المقبلة ". وكان من المستحيل تحديد يوم بعينه سيقع فيه هذا الهجوم. وخلال هذا الاجتماع تم عرض رسم توسيحي يشير إلى تجمع سبع معلومات استخبارات محددة خلال الساعات الأربع والعشرين السابقة ، وكلها تتبايناً بهذا الهجوم الوشيك. ومن المؤشرات في هذا الصدد توجه عناصر إرهابية بأعداد كبيرة إلى أفغانستان ، ومغادرة أعداد كبيرة من أفراد عائلات عناصر أخرى إلى اليمن ، بالإضافة إلى دلائل ومؤشرات حول وجود تهديدات جديدة للمصالح الأميركية في لبنان والمغرب وموريشيوس. وتعددت المؤشرات الأخرى إلى هجوم وشيك وصف بأنه سيكون هجوماً مدويًا ومعداً لإيقاع خسائر هائلة في تسهيلات ومصالح أميركية . وقال ريتشارد بى إن الاستعدادات للهجوم قد تمت بالفعل ، وأن الهجمات يمكن أن تكون متعددة ومتزامنة ، وبدون تحذير مسبق أو محدد ، وأن القاعدة تنتظر ، وتحث عن نقطة ضعف لاستغلالها. ولخص ريتشارد جهود CIA للhilولة دون استهداف أهداف معينة من قبل تنظيم القاعدة ، وأوضح أن هدف الوكالة ليس ترهيب من يستعدون للهجوم أو إيقافهم ، وإنما حملهم على الاعتقاد بأن خططهم معرضة للخطر، وذلك على أمل أن يتم دفع التنظيم لتأجيل الهجمات على الأقل ، لكسب الوقت حتى يتم استئصال التنظيم ومن ثم إنهاء تهدياته . وهنا انتقل ريتشارد من الوضعية الدافعية إلى الوضعية الهجومية في مواجهة تنظيم القاعدة ، مطالبًا بضرورة نقل المعركة إلى أفغانستان والاستفادة من سخط بعض القبائل هناك على طالبان والاستعانة بالمقاومة الأفغانية المسلحة . وهنا طرحت رايس السؤال المتوقع : وماذا يتquin علينا أن نفعل ؟ ..وهنا رد كوفر على الفور بقوله : هذا البلد بحاجة الآن إلى الانتقال لوضعية الحرب . ومرة أخرى عادت رايس تسأل : إذن ما الذي يمكننا عمله للانتقال إلى وضعية الهجوم ؟ .

وجاء الرد، ولا اتذكر ما إذا كان قد جاء على لساني أم على لسان كوفر : علينا أن نحصل على الصلاحيات التي سبق وأن طالبنا بها في شهر مارس الماضي . ولكن قبل ذلك كان يتعين على الرئيس الأميركي تعديل سياساته بما يتواافق مع الوضع الجديد ، وهو ما أكدت رايس أنه سيحدث . وانشاء مغادرتي مكتب رايس رحت أتبادل التهاني مع مساعدتي الاثنين على أننا قد حصلنا أخيراً على الانتباه الكامل من جانب إدارة بوش . ومع ذلك ، فقد ذهبت الآمال إدراج الرياح ، حيث حالت بيروقراطية الإدارة دون منحنا الصلاحيات التي طالبنا بها في شهر آذار إلا في 17 أيلول 2000 . و توالت التقارير والمعلومات الاستخباراتية التي تؤكد أن هجوماً كبيراً سيقع ، واستمرت في التوالي حتى العاشر من سبتمبر ، وبعد أربع وعشرين ساعة وقعت الأحداث التي اعتقاد الجميع أنه لا مجال للتفكير في وقوعها ، والتي لم أكن أنا وكذلك جميع أفراد وكالتي نفكر في أي شيء آخر غيرها.

هذا هو ما حدث يوم 11 أيلول

في صبيحة يوم 11 أيلول .. ذلك اليوم الذي غير كل شيء في حياتنا ، التقيت السيناتور السابق ديفيد بورين لاتناول فطورى معه في فندق سانت ريجس بواسنطن ، وكان ذلك في الساعة الثامنة والنصف . وكان الرئيس بوش في تلك اللحظة خارج العاصمة في جولة بولاية فلوريدا ، مما كان يعني إعفائي من تقديم الموجز اليومي للرئيس كالمنتبع .

كان ديفيد قد التقى من العدم في عام 1987 ، لكي أخدم كرئيس أرakan لجنة الاستخبارات التابعة لمجلس الشيوخ التي كان يرأسها . وقد كنت متلهفاً ذاك الصباح للقاءه كعادتي دائماً . وما أن التقينا حتى رأيت تيم وورد المسئول عن حراستي الخاصة يهرع إلى حيث مكاني وملامح القلق تترسم على وجهه . و كما تتطلب مهام منصبه ، كان تيم يتمتع برباطة الجأش ، شخص لا يمكن استثارته بسهولة ، ولكن ما بدا عليه هذا الصباح كان ينم على أن هناك أمراً عاجلاً ، فقد قاطعنا ، فأدركت أن هناك بدون شك أمراً مهماً يريد إطلاعي عليه ، فما كان مني إلا أن قمت وتحيت به جانباً ، ليبلغني أن طائرة اقتحمت البرج الجنوبي لمركز التجارة العالمي . ولم يحدثني عن الضحايا . ولم يستغرق الأمر الكثير ، حتى ضربت الطائرة الثانية البرج الثاني ليتبين لنا أنه لا يزال هناك الأسوأ .. إن هذه القضية لم تكن مفاجئة بالنسبة لي فقد كنت وزملائي نتعيش عن قرب مع احتمال التعرض لهجوم إرهابي ضد الولايات المتحدة . وأدركت على الفور أن هذه الهجمات قام بها تنظيم القاعدة . و عندما أبلغت بورين بهذه الأخبار ، تذكر تحذيراتي من ابن لادن ، وتساءل بصوت عال عما إذا كان زكريا موسوي متورطاً في هذه الهجمات .

إن هذه الهجمات قلبت عالمنا الأمريكي الآمن رأساً على عقب و رغم توقعاتنا إلا أن الفرق شاسع بين توقعها و وقوعها!! تركت تيم بورين و هرعت إلى سيارتي وعدت بسرعة لمكتبي في CIA وفي هذه الدقائق الأولى كاد رأسى ينفجر ، ورحت أستدعي في مخيلتي جميع النقاط العشوائية التي قمنا بتجميعها ، وتذكرت مؤامرة " بيونكا " لتفجير 12 طائرة ركاب أمريكية فوق مياه المحيط الهادئ ، وما أعقبها من إحباط خطة لمحاكمة مقر CIA بطائرة ركاب صغيرة في عام 1994

. لقد انقلب عالمنا الأمريكي الآمن رأساً على عقب ، ووصلت الحرب على الإرهاب إلى شواطئنا. وكانت الدقائق الإثني عشر التي أعقبت سماعي أنباء الهجمات هي الأطول في حياتي . وفي الطريق اتصلت برئيس أركاني جون موسى مان ، وطلبت منه جمع كبار ضباط الأركان في قاعة الاجتماعات بالوكالة المتاخمة لمكتبي . وكان هاتفي المؤمن يتعرض لنوبات توقف أثناء الطريق ، وعندما وصلت مكتبي ، علمت أن طائرة أخرى ضربت مبني ال Bentagion (مقر وزارة الدفاع الأمريكية) . و الآن وحتى بعد مرور خمس سنوات على الهجمات ، لا أستطيع أن أصف الأجواء النفسية التي وجدتها تسيطر على هذا الاجتماع عند وصولي في الساعة التاسعة والنصف على ما أتذكر . ولا أعتقد أن شخصاً واحداً من بين من حضروا هذا الاجتماع كانت تساوره ذرة شك في أن هذه الهجمات الواسعة النطاق من تدبير القاعدة. ورغم أننا لطالما توقعنا ما جري إلا أن هناك اختلاف كبير للغاية بين أن تتوقع أمراً وبين أن تراه وهو يقع بالفعل ، كما شهدنا مثلًا انهيار مركز التجارة العالمي . وفي الساعة التاسعة وأربعين دقيقة

انضم إلينا جون ماكلوكلين وكوفر بلاك وديك كلارك من البيت الأبيض عبر دائرة تليفزيونية مؤمنة وفي هذه اللحظة لم يتوقف رنين التيلفونات سواء من المسؤولين أو الأصدقاء أو حتى الأهل والأقارب للتأكد من صحة الأنباء والشائعات التي راحت تتردد ، ومنها أن قبلة سقطت على الجناح الغربي من البيت الأبيض ، وأن النيران اشتعلت في مبني الكongress ووزارة الخارجية الأمريكية ، والحقيقة أنها في تلك اللحظة لم يكن لدينا أي فكرة عما هو حقيقي وما هو كاذب! تاجر الموت والعقيد ... السوق النووية السوداء و لم نكن نعرف أيضاً ماذا ينتظروننا فيما بعد ، ونحن الذين كان قد نما إلى علمنا أن القاعدة تنوي ضرب مقر وكالتنا بطائرة ، علماً بأننا كنا نجتمع في تلك اللحظة في الطابق السابع عشر (الأخير) من مقر CIA و اتذكر أنني سالت مايك هولفيلايدر رئيس حرسي الخاص عما يوصي به في هذا الصدد فبادرني قائلاً " هيا نخرج من هنا .. دعنا نخلي المكان . والحقيقة أنني كنت متربداً ، فلم أكن أريد العاملين بوكالتي ، أو العالم ككل أن يعتقد بأننا نقفز من السفينة ، في نفس الوقت الذي لم أكن أريد فيه أيضاً أن أخاطر دون داع بحياة رجالى . وهنا قال أحد الحضور من رجالى : إننا في

حاجة إلى أن تكون قيادتنا آمنة لا يمسها سوء ، وقادرة على اتخاذ القرارات. و في حوالي الساعة العاشرة طلبا من موظفينا بالوكالة والذين يقدر عددهم بعدهآلاف بالعودة إلى منازلهم ، لينخرطوا في زرمة المرور غير المسبوقة التي كانت تشهدها واشنطن في تلك الأثناء. وكان قد تم إخلاء البيت الأبيض قبل 15 دقيقة ، بعد ضرب البنتجون مباشرة . كما كان قد بدأ إخلاء مبني الأمم المتحدة من موظفيه البالغ عددهم 12 ألف موظف منذ الساعة العاشرة وثلاثة عشرة دقيقة . وبعد دقائق بدأ إخلاء وزارة الخارجية والعدل والبنك الدولي. وتم نقل كبار ضباطي من قاعة الاجتماعات إلى الطابق الأول الآمن نسبياً وإن كان عرضة لانهيار حال هجوم المبني بطائرة . ثم غادرنا جميعاً المبني حيث اتخذنا أماكننا في مبني وحدة الطباعة البعيدة وجهزناها كغرفة عمليات و كان المكان يعج بالفوضى.

حاولنا الاتصال بمايك موريل الذي كان مسؤولاً عن استقبال الموجز المخابراتي الذي أقدمه للرئيس عندما لا يكون الأخير في واشنطن ، ولكنه لم يكن موجوداً ، حيث كان برفقة الرئيس في ولاية فلوريدا عندما ضربت الطائرة الأولى مركز التجارة العالمي . وقد أبلغني مايك فيما بعد بالقصة .. قال إنه ومستشار بوش كارل روف والمتحدث باسم البيت الأبيض آري فليتشر كانوا يركبون سيارة الجولف الصغيرة عندما تلقى آري مكالمة هاتفية تسئلته عم إذا كان يعرف أي شيء عن أن طائرة قد ضربت مركز التجارة العالمي . وعلى الفور طلب مايك مركز عملياتنا فرد عليه بأن الطائرة لم تكن صغيرة . وبينما كان مايك ينتظر انتهاء الرئيس بوش من لقائه مع تلاميذ واساتذة المدارس الابتدائية ، شاهد مايك الهجوم على البرج الثاني . وعلى متن طائرة الرئاسة سأل الرئيس مايك عمما إذا كانت جماعة فلسطينية تطلق على نفسها اسم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين هي فعلاً مدبرة الهجمات كما أعلنت مسؤوليتها عن الهجوم في الصحافة ، ورد عليه مايك بقوله " : ليس محتملاً ، فالجبهة الشعبية ليس لديها الإمكانيات لعمل هذا. " وهنا قال بوش لمايك إذا كان لدى CIA أيه معلومات بخصوص الهجمات فأنا أريد أن أكون أول من يعرفها . وب مجرد فتح قنوات الاتصال مع الرئيس وفريقه ، أخذنا نلملم كل ما نستطيع من معلومات ، وانتقل رجالنا إلى مدينة نيويورك . وعلى سبيل المثال فقد أكتشفنا كيف أن الخاطفين تمكنا من

التشویش على راداراتنا بارسال إشارات معينة حتى لا يتم اكتفاء آثار الطائرات ، وهم في طريقهم لشن الهجمات . لقد بانت البيروقراطية في اوجها عندما طلبنا قوائم ركاب الطائرات يوم الهجمات فقالوا لنا : ليس من حق CIA الحصول عليها!! ورغم تأكينا من أن القاعدة وراء الهجمات إلا أنها كانت في حاجة إلى دليل ، لذا طلب مركز مكافحة الإرهاب لدينا إدارة الطيران المدني بموافقتنا بقوائم ركاب الطائرات التي تحولت إلى أسلحة هجومية هذا الصباح . و يا للغرابة ، فقد كان الرد الأول على طلبنا هذا - في إطار البيروقراطية المعهودة - أنه ليس من حق CIA تقاسم هذه المعلومات معنا!! ولكن و مع إجراء بسيط وصلت القوائم و عكف رجالنا في مركز مكافحة الإرهاب الذين كانوا يعملون من وحدة الطباعة على فحصها . ليكتشفوا كما جاء في تقرير رئيس المركز " أن بعض أولئك الخاطفين من كانوا على إحدى الطائرات هم أنفسهم الذين كنا نبحث عنهم خلال الأسبوع القليلة التي سبقت الهجمات . " وأشار رئيس المركز إلى اسمين على وجه التحديد : خالد المحضار ونوفاح الحازمي . وكانت هذه هي المرة الأولى ، التي كان لدينا فيها دليلاً قاطعاً لا يقبل الدحض مطلقاً ، يؤكد ما توصلت إليه منذ اللحظة الأولى التي علمت فيها بالهجمات : نحن في وسط مؤامرة القاعدة

و في تلك اللحظة اتصل بي ديك تشيني نائب الرئيس يسألني عما إذا كنا نتوقع المزيد من الهجمات . وفي تلکم الأثناء ، كانت طائرة رابعة مختطفة قد وصلت إلى شانكسفيل بولاية بنسلفانيا . وقد أجبت على سؤال نائب الرئيس بالنفي . وقلت له أن تجربتنا مع القاعدة تشير إلى أنها تنفذ الهجمات بالتزامن أي في وقت واحد ، وأنها ستكتفي بهذا القدر في ذلك اليوم . وأننا لا نتوقع أية هجمات أخرى ، وأن هذا هو ما تعلمناه من هجمات القاعدة ضد سفاراتينا في إفريقيا . وقد غادرت أنا ورجالي مبني وحدة الطباعة ، وعدنا لمبني مقر الوكالة حوال الساعة الواحدة بعد الظهر . وكان الخطر قد زال على الأقل لهذا اليوم .

بعد سلسلة من الاجتماعات مع رجال ، كان هناك اجتماع آخر ، ولكن مع الرئيس عبر دائرة تيلفزيونية مغلقة . و يسجل التاريخ أن الرئيس بوش الذي كان قد هبط في قاعدة أوفوت الجوية في ولاية نبراسكا ، أثناء طيرانه عائدًا إلى واشنطن ، بخط سير متعرج ، لا يمكن تتبعه ، تحدث معه من مقر القيادة الاستراتيجية الأمريكية تحت الأرض . و

أتذكر الرئيس بوش وهو يسألني عمن نفذ - في اعتقادي - هذه الهجمات فأجبته بنفس الكلمات ، التي أجبت بها ، عن نفس السؤال ، الذي طرحته نائبه تشيني قبل عدة ساعات من مكالمته: القاعدة. وعندما أبلغت الرئيس عن المحضار والحازمي صرخ في وجه مايك موريل : كان من المفترض أن أكون أول من يعلم بهذا . وقد كان الرئيس أثناء هذا اللقاء عبر الدائرة التليفزيونية رابط الجأش ، ومحفظاً بتركيزه ، وعندما التقى له ليلة اليوم نفسه وجدته يؤكد انطباعي الأول عنه . وأتذكر أنني وجدت لدى لقاء الرئيس تلك الليلة ، ربما بعد الساعة التاسعة ، وجدت البيت الأبيض ، وقد تحول لحصن منيع . وهناك كان الرئيس ومعه نائبه تشيني ومستشاره للأمن القومي كوندوليزا رايس ، ووزير خارجيته كولن باول ووزير دفاعه دونالد رامسفيلد والجنرال هوف شيلتون رئيس هيئة الأركان المشتركة ، وعدد قليل آخر بينهم لين تشيني ولورا بوش.

ألقي الرئيس خطاباً للأمة في الساعة الثامنة والنصف من مساء اليوم ضمنه ما أصبح يعرف فيما بعد بـ " مبدأ بوش " وقال: " وجهت كل موارد مخابراتنا وجميع أجهزتنا المكلفة بفرض القانون للبحث عن هؤلاء المسؤولين عن الهجمات وإحضارهم أمام العدالة . وسوف لن نميز بين الإرهابيين الذين ارتكبوا هذه الأفعال ، وهؤلاء الذين يحتضنونهم ". وبالنسبة لنا في CIA فإن مبدأ بوش الجديد هذا كان يعني بالنسبة لنا أن القيود التي لطالما فرضت علينا وغلت أيدينا قد رفعت أخيراً . وقد كانت لدينا بالفعل خطة موضوعة على الرفوف بوكالتنا لتعقب كل من القاعدة وحماتها طالبان في أفغانستان ، والآن نستطيع البدء في تنفيذها . ووسط مشاعر الأسى التي صاحبت ذلك اليوم ، أدركنا أننا سنحصل أخيراً على تفويض وموارد لكي نقوم بالمهمة التي كنا نعرف أنه لا بد من القيام بها . ولا شك أن 11 أيلول كانت لحظة " صنفت " أو " صقلت " رئاسة بوش فقد حولته بطريقة لم يكن أحد منا ليتنبأ بها . وقد شهدت قيادته للبلاد خلال الأشهر التالية اختلافاً هائلاً .

عما كان عليه الحال قبل الهجمات.

هذه هي قصة حربنا في أفغانستان

في اليوم الثاني عشر من أيلول 2001، أي بعد الهجمات بيوم واحد ، ترأس الرئيس بوش اجتماعاً لمجلس الأمن القومي الأمريكي ، وشدد ولكن بمصطلحات أقوى على ما قاله في التلفاز الهيئة السابقة . وقال إنه لم يكن يريد فقط معاقبة من وراء الهجمات ، ولكن علينا مطاردة الإرهابيين

، وأولئك الذين يقومون بآياتهم في شتى أنحاء العالم.

وفي اليوم التالي ، وفي غرفة العمليات بالبيت الأبيض قدمت للرئيس وأعضاء وزارة حربه ، ولأول مرة ملخصاً لخطة حربنا . وقت : "نحن مستعدون لشن عملية سرية واسعة النطاق خلال فترة وجيزة من شأنها نقل القتال إلى حيث يوجد العدو ، وبصفة خاصة القاعدة وحماتها في طالبان. " وقت " : ولكي نقوم بذلك ، سننشر فريقاً أولياً من رجال مخابراتنا داخل أفغانستان للعمل مع قوات المعارضة الرئيسية لنظام طالبان (التحالف الشمالي) ، وتمهيد الطريق أمام تدخل القوات الأمريكية الخاصة . " وقت لوزارة الحرب " : هناك تحديات .. فقد تركت عملية اغتيال أحمد شاه مسعود في التاسع من أيلول التحالف الشمالي بدون قيادة قوية وتحظى باحترام الجميع ، ولكن لدينا تكنولوجيا ترجم كفتنا ، وشبكة ممتدة من المصادر الموجودة بالفعل على الأرض في أفغانستان ، ولسوف ننجح".

وتبيني كوفر بلاك من خلال برنامج " باور بوينت " بعرض مفصل لقدراتنا التي تؤهلنا للقيام بهذه العملية. وكما فعلت أكد كوفر " : إن عمليتنا لن تستهدف القاعدة فقط ، وإنما طالبان أيضا ، ما لم تقرر هي بنفسها الانفصال عن القاعدة . ولكن هذا ليس أمراً محتملاً ، رغم أننا سنبذل أقصى ما لدينا من جهد من أجل هذا الهدف . وقال إننا سنتكفل بهذه الحرب ، في بداية الهجوم ، ولن نتوقف عند حد البحث فقط عن بن لادن وقادة تنظيمه وتدمير معاقلهم ، ولكن سنعمل بطريقة تجعل العدو يفضل تفجير نفسه والموت على الاعتقال ." وكانت الفكرة الأساسية هي قيام الوكالة بنشر فريق من المظلعين التابعين لها داخل أفغانستان

للعمل مع قوى المعارضة ، وعلى وجه الخصوص التحالف الشمالي ، وتمهيد الطريق لدخول طلائع القوات الخاصة الأمريكية . وبتعبير آخر كان دور الوكالة هو تمهيد الأرض للغزو العسكري القادم ، بحيث يتم تلافي الأخطاء التي وقع فيها السوفيت عند غزوهם لأفغانستان. إن هذا العرض من جانب كوفر كان يعني وقوع خسائر بشرية من كلا الجانبين ، ولكن كوفر لم يجده نفسه لتحديد عدد القتلى الأمريكيين المتوقع سقوطهم في الحرب ، ولكنه أكد الرئيس بوش أن المهمة لن تتم دون إراقة دماء ، ورد بوش عليه بأنه " يدرك ذلك ". وسائل الرئيس كوفر : ما الوقت الذي سنستغرقه لنشر فرق CIA هناك ؟ .. فأجابه كوفر " : خلال فترة وجيزة ". وراح بوش يسأل من جديد " : وما الوقت الذي سنستغرقه لهزيمة القاعدة وطالبان .. " فقال كوفر " : مسألة أسابيع ". و الحقيقة أنني لم أكن مع هذا الرأي الأخير ، فهو هزيمة القاعدة وطالبان خلال أسابيع لم تكن ممكنة. وقد شعر الرئيس بوش بخيبة الأمل ، عندما أدرك أن وزارة الدفاع الأمريكية " الbingtajon " لم يكن لديها أية خطة جاهزة لمهاجمة القاعدة وطالبان في أفغانستان متى حانت اللحظة . وكانت النقطة التي ركزت عليها أنا وكوفر في اجتماعنا مع الرئيس هي أن المخابرات هي التي ستقود هذه الحرب، وليس القوة العسكرية المطلقة فقط ، وأن التحدي لم يكن في مجرد هزيمة العدو عسكرياً ، وإنما التحدي الحقيقي كان إيجاد العدو ، ومتى تم ذلك فإن هزيمته ستكون سهلة.

وفي يوم الجمعة 14 أيلول ، قمنا ببلورة خطتنا من جديد ، بحيث تكون أفغانستان مجرد بداية لاستراتيجية شاملة لمكافحة الإرهاب الدولي . وبعد ذلك قمنا بالتحضير لعرض خطتنا على الرئيس وزارة حربه في اليوم التالي في قاعة المؤتمرات بكامب ديفيد . وقد جلس علي يمين بوش نائبه تشيني وعلى يساره وزير خارجيته كولين باول . وجلس رامسفيلد وزير الدفاع ونائبه بول ولفوويتز جنباً إلى جنب . وكانت هناك أيضاً رايس وستيفن هادلي وريتشارد آرميتاج مساعد باول وجون أشكروفت المدعي العام وروبرت مولر المدير الجديد لمكتب التحقيقات الفيدرالي روبرت مولر . وكان عنوان ملخص الخطة الذي وزعناه في هذا الاجتماع هو " تدمير الإرهاب الدولي .. " أما عنوان الصفحة الأولى منه فكان : الهدف الأول المطلوب اصطياده : تدمير

القاعدة واغلاق الملاذ الآمن ". وعرضنا على الرئيس جزءاً من خطتنا التي تقوم على استغلال علاقاتنا مع الدول المجاورة لإغلاق حدودها لمنع أعضاء القاعدة من الهرب ، وتقديم تسهيلات عسكرية لنا ، ومن هذه الدول أوزبكستان وباكستان ، واستخدام الصلات التي تجمعنا بدول العالم لاقفأه أثر مصادر تمويل القاعدة ، لرصد المنظمات غير الحكومية والأفراد ، الذين يمولون العمليات الإرهابية ، في الوقت الذي سنقوم فيه بإغلاق قواعد التنظيم الإرهابي في 92 دولة. و أذكر أن الرئيس الباكستاني برويز مشرف في النهاية استجاب لكل الإملاعات الأمريكية ، وأبدى الاستعداد الكامل للتعاون ، رغم ارتباط جماعات عديدة في بلاده بطالبان والقاعدة. كما عرضت دول كثيرة في العالم تقديم المساعدة لنا في حربنا التي أعلناها لتونا على الإرهاب. فقد أعرب العاهل الأردني الملك عبدالله الثاني لإدارة بوش عن استعداده لإرسال كتيبتين من القوات الخاصة الأردنية إلى خطوط المواجهة مع أفغانستان . وقد كان بن لادن يشكل التهديد الأكبر بالنسبة إلى ملك الأردن الذي أراد منا أن نعرف أن بلاده مستعدة للمواجهة وقت الحاجة!. كان السعودية قد تباطأت بعد أحداث أيلول مباشرة في التعاون مع الولايات المتحدة ، إلا أن التعاون بين البلدين توطد بصورة ملحوظة بعد أن ضرب الإرهاب الأرضي السعودية في مايو عام 2003، إذ بدأت المملكة باتباع خطة محكمة لمهاجمة الإرهابيين في الداخل . وقد التقى مع ولي العهد السعودي الأمير عبدالله بن عبد العزيز ووجده شخصية مؤثرة بشكل لا يصدق ، ورجل لم ينس أبداً جذوره . وقد اتخذت بلاده خطوات جدية على طريق محاربة الإرهاب.

في السادس عشر من سبتمبر ، اليوم التالي للجتماع ، قمت بتوزيع مذكرة داخلية على العاملين في وكالتي عنوانها : نحن في حالة حرب " أبلغتهم فيها بأن القواعد قد تغيرت ، ومضى عهد البيروقراطية ، وعليهم من الآن تحمل مسؤوليتهم ". وبعد أيام قليلة ، وبالتحديد في العشرين من سبتمبر ، أعلن الرئيس بوش في خطاب للأمة ، ألقاه أمام جلسة مشتركة لمجلس الكونجرس " : حربنا على الإرهاب ستبدأ بالقاعدة ، ولكنها لن تنتهي عند هذا الحد ..لن تنتهي إلا بالوصول إلى جميع الجماعات الإرهابية وفي أي مكان بالعالم وتوقفها وتدميرها . "

وأتذكر أن الرئيس في تلك اللحظة كان قد أعطانا تفويضاً بتنفيذ الخطة كما طلبنا.

وكانت الحرب ونتائجها المبهرة ، والتي قسمت ظهر التنظيم ، ودمرت ملاذات الأمان وأسقطت نظام طالبان ، وقتل أو اعتقل فيها الكثير من رؤوس التنظيم الكبيرة أو أعضاء خلية النشطة. ولكن القاعدة لا تزال تبحث عن السلاح النووي لتجيير مجرى التاريخ، وقد سمعت فيما بين عامي 2002 و 2003 إلى شراء أسلحة نووية من روسيا ، إلا أنها تمكنا من إحباط هذا المخطط .. ورغم ذلك فالقاعدة لا تزال تبحث عن سلاح نووي ، وهذا

هو التهديد الرئيسي .. وأننا مقتنع بأن هذا هو الهدف الأساسي الذي يرغب بن لادن ومساعدوه في تحقيقه .. لأنهم يدركون أنه حال نجاحهم في ذلك سيغيرون التاريخ.

إن البعض قد يخطئ عندما يتصور أن الأزرار التي تم الضغط عليها في تلك الفترة كانت تتعلق بالمخابرات والجيش والطيران والبحرية فقط ، أي بالمؤسسة العسكرية الأمريكية والمؤسسات ذات الصلة الوثيقة بها فحسب . فقد كانت الاجتماعات التي أشرفت الوكالة عليها في تلك المرحلة تضم العناصر القيادية في مجالات لا تخطر على البال، حتى المسؤولين عن السينما الأمريكية حضروا اجتماعاتنا لتحديد دورهم في مكافحة الإرهاب بعد 11أيلول. وفي المناقشات التي دارت حول الموائد وفي قلب تلك الاجتماعات تركز الحوار حول كيف يمكن استهداف العدو في شتى أنحاء العالم؟ كانت هناك رموز الثقافة الأمريكية، بما في ذلك القيادات المسؤولة عن استوديوهات السينما ، حدائق الترفيه ، المراكز الرياضية ، المرافق الكبرى للمطارات والموانئ والجسور، وكان هناك المسؤولون عن المقار الرئيسية للمؤسسات الاقتصادية الكبرى ، والعناصر المكونة للنظام الاقتصادي الأمريكي ، بما في ذلك قطاع الطاقة ، وكان هناك أيضاً المسؤولون عن الرموز الأمريكية الشهيرة بما في ذلك تمثال الحرية ، وجبل راشمور ، ومتحف واشنطن . وكان هناك أيضاً المسؤولون عن شبكات الاتصالات العالمية وفي مقدمتها الانترنت والمعاملات المصرفية الإلكترونية . واتصلت أيضاً بجاك فالنتي رئيس رابطة السينما الأمريكية وشددت معه على ضرورة مشاركة صناعة الأفلام الأمريكية في الجهد

التي تبذل في الحرب على الإرهاب، والتقييت شخصيات مثل مايكل أيزنر من شركة ديزني ، وجاري بينما المفوض الوطني للرابطة الوطنية لرياضة الهوكي ، وديفيد شتيرن مفوض الاتحاد الوطني لكرة السلة ، لكي أهيب بهم أن يتتأكدوا من سلامة إجراءات الأمن في مواقعهم وأنشطتهم ويشاركون في الجهود المبذولة لتحقيق هذا الهدف على أوسع نطاق.

إنني لعلي يقين كامل أن في معركتنا ضد الإرهاب كان هناك أبطال في كل مكان

التصميم على غزو العراق قبل الوصول للبيت الأبيض

في اليوم التالي لهجمات 11 أيلول ، التقيت بالمسؤول السابق في وزارة الدفاع وأحد أبرز مفكري المحافظين الجدد ريتشارد بيرل ، بينما كان خارجاً من البيت الأبيض . وقد فوجئت ببيرل ، الذي لم يكن يشغل منصباً رسمياً في الإدارة الأميركيّة ، يقول : على العراق أن يدفع ثمن ما حدث بالأمس.

إنه يتّحّمّل المسؤوليّة . وقد صدمني ما سمعت ، فالتقى إلى الخلف سائلاً نفسي " ما الذي يتحدث عنه هذا الرجل بحق الجحيم ." كما رحت أتساءل عن سبب وجود بيرل في البيت الأبيض في أولى ساعات صباح ذاك اليوم تحديداً؟ إن بوش وصقروره وصلوا البيت الأبيض والنشية مبيتة لغزو العراق

و استغلوا أجواء أيلول لغسل مخ الأميركيّين وكسب تأييدهم للحرب . وسيظل الموعد المحدد ، الذي أصبح فيه غزو العراق أمراً حتمياً ، أحد أكبر الألغاز بالنسبة لي . فقد كنت في الفترة التي أعقبت أحداث الحادي عشر من سبتمبر ، والشهرور أيضاً التي سبقتها ، مشغولاً إلى حد الهرس بالحرب على الإرهاب . ولم تكن الليالي الطويلة التي جافاني فيها النوم في تلك المرحلة لها أي صلة بصدام حسين ، وإنما كانت القاعدة هي التي تسيطر على الكوابيس التي كانت تداهمني في نومي ، ولم يكن السؤال هو: ماذا لو ضربت؟ .. وإنما كان حول الشكل الذي ستتخذه ضربتها المقبلة بمعنى : كيف ستضرب؟ . وكنت أقدح زناد تفكيري حول ما يمكننا عمله لتعطيل وعرقة ومنع مثل هذا الهجوم . وعندما أعود بذاكري للوراء ، فإنني أتمنى لو كان بمقدوري أن أعطي مجهوداً واهتماماماً مماثلاً للعراق . ففي ضوء

جميع الأخطاء الفادحة التي قدر للإدارة الأميركيّة الوقوع فيها ، كان العراق يستحق مساحة أكثر من وقتٍ . ولكن عذري هو أن ما كان لدينا في تلك الفترة من حقائق مجردة ، لم يكن يجعلني أتصور أن هناك أي داع أو ضرورة لتحرك قطار الغزو ويمثل هذه السرعة . بينما كان العراق بالنسبة للكثير من أفراد إدارة بوش يمثل شغفهم الشاغل حتى قبل وصولهم معه للسلطة . ولدى وصولهم كان العراق يسيطر على

تفكيرهم . وبعد إعلان بوش رئيساً ، وقبل توليه الفعلي للسلطة بوقت قصير ، كان ديك تشيني قد طلب من ويليام كوهين وزير الدفاع الذي كان يغادر منصبه تقديم تقرير شامل و كامل عن العراق ، والخيارات المتاحة فيما يتعلق بهذا البلد . وبالنسبة لي كان الأمر يبدو طبيعياً أن يتم إحاطة الرئيس الجديد وبسرعة بكل ما يتعلق بالقضايا محل اهتمام الولايات المتحدة . فقد كانت أطقم مقاتلاتنا الجوية تحرس المنطقة المحظورة الطيران فوقها شمال العراق وسط مخاطر كبيرة ، في الوقت الذي كانت فيه العقوبات المفروضة ضد صدام تتآكل بخطى منتظمة .

كان هناك ومنذ البداية ثمة دليل على أن نائب الرئيس ديك تشيني لديه نية مبيبة للتدخل في توجيهه مسار عمل CIA وما تقوم به من جمع معلومات وإعداد تقارير . وقد تركت قضية لويس ليبسي (مدير مكتب ديك تشيني الذي أدانته المحكمة بتهمة تسريب اسم فاليري بليم ويلسون العمillaة السرية في CIA) الصحفة وما أثير خلال المحاكمة من أن اعتراف ليبسي بأن تشيني هو الذي أمره بأن يكشف للصحفيين اسم فاليري) انطباعاً بأن هناك شكلاً ما من أشكال الحرب تدور بين CIA ومكتب نائب الرئيس . ولو كانت هناك حرب حقاً فهي من جانب واحد وهو مكتب تشيني ، فنحن

بهذا المعنى لسنا بمقاتلين . وحتى هذه اللحظة ، رأيت تشيني مهتماً بأحوال الوكالة ، ومستمراً في طرح الأسئلة الصعبة ، وكنت أرحب بأسئلته ما دمت أجيء بما لدى من حقائق ومعلومات ، وليس ما يود الطرف الآخر سماعه .

ولكن حدث ما أثار حفيظة العاملين بوكالتي [فقد بات مسئولو إدارة بوش لا هم لهم سوي العراق وبالتحديد علاقة العراق بتنظيم القاعدة ، وكلما أكدنا لهم أن معلوماتنا لا تظهر أي صلة بين الطرفين ، ولكنهم لم يكونوا يستسيغوا الرد . وقد جاءت إلى في أحد أيام عام 2002 جامي ميسيك التي تشغل منصب كبير محللين في الوكالة تشكو من أن عدداً من صانعي السياسات بإدارة بوش حددت منهم سكوتر ليبسي وبول وولفويتز يظهرون الامتعاض وعدم الرضا عن ردودنا على أسئلتهم المتكررة فيما يتعلق بتورط

العراق في علاقات مع تنظيم القاعدة . وما كان مني إلا أن قلت لها قولي لمحلينك أن يردوا عليهم في المرة القادمة بعبارة مقتضبة هي : ردنا هو نفسه كما في المرة السابقة .

والحقيقة أن التركيز على العراق بواسطة كبار المسؤولين في إدارة بوش كان هو شغفهم الشاغل منذ البداية . ولم لا وقد كان بول وولفويتز وريتشارد بيرل ودوجلاس فيث من بين ثمانية عشرة شخصاً وقعوا على رسالة معلنة صادرة عن جماعة أطلقوا عليها اسم " مشروع القرن الأمريكي "

الجديد " يطالبون فيها بإسقاط صدام حسين . و غالباً ما ينسى أيضاً أن تغيير النظام في العراق كان سياسة رسمية معلنة أيضاً لإدارة الرئيس بيل

كлинتون ، وكان الهدف من قانون تحرير العراق الذي أعلنه الكونгрس في عام 1998 ، وقد تم تخصيص 100 مليون دولار لوزارة الخارجية لاستخدامها في عملية السعي لوضع نهاية لنظام صدام .

وفي بداية عمل إدارة بوش اقترح وزير الخارجية كولن باول تخفيف العقوبات الدولية على العراق ، واستبدالها بما اصطلاح علي تسميته " العقوبات الذكية . " وفي أوائل عام 2001 ، تحدث باول عن أن أمريكا يتم اغتيالها سياسياً أمام محكمة الرأي العالمي لوجود انطباع في العالم بأن أطفال العراق يموتون جوعاً بسبب هذه العقوبات . و من أجل تحسين صورتنا في العالم اقترح باول أن يتم استبدال العقوبات القائمة بأخرى " ذكية " تتركز أكثر على المشتريات العسكرية . إلا ان بقية طاقم إدارة بوش رفضوا قائلين بأن هذا سيسمح لصدام بالمرأوغة واستعادة برامج أسلحته ، ولكن مع تمسك باول باقتراحه ، وافقوا على " العقوبات الذكية " ، إلا أنهم اطاحوا بها بسرعة لأن لم تكن !

وفي يوم 7 شباط 2001 ، وبعد أقل من أسبوعين على تولي الإدارة الجديدة ، ترأست كوندوليزا رايس (كوندي) اجتماعاً للجنة كبار المسؤولين الأمنيين في البيت الأبيض تركز حول العراق . وكان معني في ذلك المجتمع نائبي جون ماكلوكين . وكما جرت العادة في العديد من الاجتماعات التي تمت في بداية عهد إدارة بوش ، فقد بدا أن الهدف منه هو جمع المعلومات ، وتحديد المهام البيروقراطية ، حتى تتمكن الحكومة فيما بعد من رسم سياستها العامة في هذا الصدد . وكان

موضوع العراق قد انزوى بعيداً عن بؤرة الاهتمام في ربيع وصيف ذلك العام - على الأقل بالنسبة لي - حيث استرعت الكثير من القضايا الملحة اهتمامي ، ومن هذه القضايا أو الأحداث التي تم نسيانها الآن - تماماً . إجبار الصين مقاتلة البحرية الأمريكية إي بي - 3 على الهبوط في إبريل ، مما تسبب في توترات رهيبة عشناها على مدى 11 يوماً وتمضيتي جزءاً كبيراً من شهر يونيو في الشرق الأوسط انتقل ما بين إسرائيل والأراضي الفلسطينية للمساعدة في استقرار الموقف الأمني هناك . ولكن ذلك لا يعني أننا تجاهلنا صدام. فقد كانت في إدارة عمليات CIA مجموعة عملياتية خاصة بالعراق تخطط لجذب جميع العمليات السرية التي قد يطلب منها تنفيذها داخل العراق ، أو عند حدوده . وفي شهر آب 2001، قمنا بتعيين رئيس جديد لهذه المجموعة ليس باستطاعتي الافصاح عن اسمه ، لأن الكشف عنه لا يزال قيد الحظر . وكان هذا الضابط الذكي ذو الفكر المنظم أمريكي من أصل كوببي ، وكان دائماً يقول في المجتمعات أنه لولا الإخفاق الأمريكي في عملية " خليج الخازير " التي قامت بها الولايات المتحدة ضد كوبا ، لما كان قد رحل عن بلاده كوبا وجاء للإقامة في أمريكا. ويقول إن أهم الدروس المستفادة من هذه العملية ، ومن تاريخ عملياتنا غير السعيد ضد العراق منذ نهاية حرب الخليج عام 1991 أو الرسالة التي يجب أخذها في الاعتبار هي أنه لا يمكن إزاحة صدام بعمليات سرية فقط. وقد توصل عدد من كبار مسئولي إدارة بوش، وأنا أتفهم دوافعهم ، ومعهم مجموعة من منظريهم في وسائل الإعلام في أوائل عام 2002 إلى أن CIA غير مستعدة للقيام بمهمة إسقاط صدام الصعبة . ولكن القضية لم تكن كذلك على الإطلاق ، فبغض النظر عن تحلياتنا التي تؤكد وجود عدة مستويات أمنية لحماية صدام والتي لا يمكن اختراعها بسهولة للوصول إليه ، كانت القضية بالنسبة لنا هي أننا حتى لو استطعنا الإطاحة بصدام ، يظل هناك احتمال قائم بتولي جنرال سني مكانه ، وبذلك سنستبدل صدام بأخر . ولكن استنتاجاتنا هذه لم تحظ برضاء الإدارة التي كان هدفها أن يجعل من العراق نموذجاً للديمقراطية يُحتذى به في الشرق الأوسط. إن إدارة بوش لم تجر أية نقاشات جادة حول قرار الحرب ولم تبحث احتواء العراق و وولفويتز أصر منذ البداية على إدراج صدام ضمن من يشملهم الانتقام الأمريكي!! ولأن كل شيء تغير بعد 11 أيلول فقد حاول

معظم مسئولي بوش إخفاء ومداراة فشلهم في التعامل مع تحذيرات CIA من القاعدة باختلاف صلة تربط العراق واسلحه دماره الشامل بهذا التنظيم الإرهابي . واستغلوا تأثر الأمريكان عاطفياً بالهجمات للتأسيس لهذه الصلة نفسياً من خلال رسالة ركزوا عليها مفادها " : نحن لن نسمح أبداً بأن يفاجئنا أحد كما حدث في 11 أيلول . وأننا في حالة العراق وإذا ما تأكلت العقوبات واستمر صبر المجتمع الدولي على صدام فسوف نستيقظ ذات يوم لنجد بحوزته سلاحاً نووياً ولن تكون في وضع يسمح لنا باحتواء تهدياته ." والحقيقة أن إدارة بوش لم تجر أبداً أية نقاشات جادة حول قرارها بغزو العراق . ولم ترکز إلا على الغزو باعتباره أمراً واقعاً ، ولم تبحث ما إذا كان صدام يمثل تهديداً عاجلاً لأمن الولايات المتحدة ، وإنما كانت تعتبره كذلك ، حتى في ضوء حقيقة عدم وجود ما يدل على ذلك . وعلى عكس ما جرت عليه العادة في هذه الأحوال لم يكلف رجال الرئيس وفي مقدمتهم نائبته تشيني نفسه حتى بإثارة احتمالات احتواء العراق . إن ضابطاً عسكرياً كبيراً قال لـ " فيث " يوم 12 أيلول 2001 : لا بد من مهاجمة القاعدة في أفغانستان .. فرد عليه : يجب أن نتوجه بحملتنا العسكرية فوراً إلى بغداد .

وبغض النظر عما ذكرته آنفاً في بداية الكتاب من أنني التقيت صدفة ريتشارد بيرل ، خارجاً من البيت الأبيض ، وصدمتني لسماعه يقول لي : على العراق أن يدفع ثمن ما فعله بالأمس .. بغض النظر عن بيرل وما قاله ، هناك حادث آخر يبين كيف أن النية كانت مبيبة لحرب العراق . فقد أبلغني مؤخراً ضابط عسكري كبير حدث أن كان برفقة دوجلاس فيث في أوروبا وقت وقوع هجمات 11 أيلول ، وأثناء عودته معه على متن طائرة عسكريةاليوم التالي للهجمات ، قال هذا الضابط الكبير لفيث إن القاعدة هي المسئولة عن هجمات اليوم السابق ، وأنه لا بد من القيام بحملة عسكرية كبيرة ضد معاقلها في أفغانستان . وكم كانت صدمة هذا الضابط - كما روى لي - لدى سماعيه فيث يريد عليه قائلًا الحملة يجب أن تتجه على الفور إلى بغداد .

إن رامسفيلد لم يكن متھمساً للحرب كنائبه " فيث " و " وولفويتز " و رئيس أبلغت هاس في تموز 2002 أن قرار الحرب اتخذ بالفعل !! وفي اجتماعاتنا مع الرئيس في كامب ديفيد فور وقوع هجمات سبتمبر كان لدى بول وولفويتز إصرار غريب على أن يتم إدراج صدام

على لائحة من تشملهم عملية الرد الأمريكي على هذه الهجمات. وفي هذه الاجتماعات لم يظهر علي رامسفيلد وزير الدفاع تأييده لهذا الربط بين صدام والهجمات ، علي عكس نائبيه المتخمسين بصورة غريبة. وبالنسبة لكوندوليزا رايس فقد كانت تشارك هؤلاء تحمسهم للحرب . وقد أبلغني ريتشارد هاس مدير التخطيط السابق في وزارة الخارجية (رئيس مجلس العلاقات الخارجية الأمريكي في الوقت الراهن) أن رايس قالت له في تموز عام 2002 إن القرار تم اتخاذه بالفعل ، وما لم يخضع

العراق

لكل شروطنا وطلباتنا فإن الحرب ستقع لا محالة. فوجئت بتشيني يقفز علي عمل CIA يمهد في خطاب للحرب متهمًا صدام بحيازته سلاحاً نووياً في القريب العاجل و سيضرب به أمريكا وحلفاءها! في القريب العاجل !! ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، فكم شعرت بالغرابة أيضاً عندما فوجئت بخطاب ألقاه نائب الرئيس تشيني في 26 آب 2002 أمام حشد من المحاربين القدامى قال فيه ليس هناك أدنى شك في أن صدام حسين لديه الآن أسلحة دمار شامل ، وهو يحشدها الآن لكي يستخدمها ضد أصدقائنا وحلفائنا وضدنا ." كما قال تشيني في نهاية خطابه " : هناك كثيرون منا علي قناعة بأن صدام سيمتلك سلاحاً نووياً في أقرب وقت." وهذا اقتحم تشيني مجال عملنا ، وجافي الحقيقة ، وتحدث دون الرجوع لنا لكي ننفي ما وصل إليه

من خلال تحليله الاستخباراتي الخاص ، حيث تجاوز فيما وصل إليه ما يمكن لتحليلات CIA أن تدعمه، وقد كان ينبغي علي أن أبلغ تشيني بذلك ، ولو في لقاء يقتصر علينا نحن الاثنين ولكنني لم أفعل . وفي مساء يوم الجمعة 6 أيلول عام 2002 ، اجتمع فريق عمل الرئيس للأمن القومي وبمشاركة CIA لبحث ما سيفعله مع العراق ، وقدم فريق رايس تقارير كثيرة تؤسس للحرب وتضع تصورات لما يمكن أن تجري عليه. وقد حذرتهم كتابياً من كل ما يجري الآن في العراق ولكنهم لم يستمعوا لي و أكدت لهم أن الفوضى ستعم والإرهاب ستصاعد ضد الأمريكيين! وكنت قد قدمت في اجتماع سابق في 13 آب 2002، ورقة باللغة الأهمية بعنوان "العاصفة الكاملة الاستعداد للنتائج السلبية لغزو العراق." وتطرح هذه الورقة السيناريوهات الأسوأ التي يمكن أن تقابلنا أثناء محاولتنا تغيير النظام في العراق. وينص ملخص الورقة على أنه في أعقاب غزو

تقويد أميركا للعراق ، فإنها ستواجه نتائج سلبية فيما يتعلق بالعراق نفسه ، وبالمنطقة ، وما يتجاوزها ، وهذه النتائج تشمل مايلي:

- الفوضى وتمزق وحدة أراضي العراق
- فقدان للاستقرار يهدد الأنظمة في الدول العربية الرئيسية.
- اتساع هائل في نطاق الإرهاب العالمي ضد المصالح الأمريكية يغذيه العداء الديني المتزايد للولايات المتحدة.
- انقطاعات كبرى في الإمداد بالنفط وتوترات شديدة في التحالف الأطلسي .. هذا كان تحذيري لهم من العديد من المصاعب التي برزت فيما بعد غزو العراق.

ارتکبوا جریتمهم ودمروا العراق وجعلوني ک بش فداء

لم تذهب الولايات المتحدة إلى الحرب بسبب أسلحة الدمار الشامل فقط ... فأنا أشك حتى في أن هذه الأسلحة كانت السبب الرئيسي للحرب ، ولكنها كانت القاع الذي تسترت خلفه الإدارة لكي تسوق الغزو بين أوساط الأميركيين . فقيادة الدول يضطرون إلى اتخاذ قرار خوض الحرب بسبب معتقدات أساسية ، وحسابات جيو استراتيجية ، رؤية ايديولوجية أوسع نطاقا ، وفي حالة العراق فقد مضت أميركا إلى خوض قرار الحرب بسبب رؤية الإدارة الأميركية التي لا تستند إلى الواقع ، وإنما تتركز فقط على أن التحول

الديمقراطي للشرق الأوسط من خلال البدء بـ تغيير النظام في العراق سيكون جديراً بتكبّد عناة دفع ثمنه . وكانت أسلحة الدمار الشامل ، على نحو ما صرّح بول وولفويتز لمجلة " فانيتي فير " في شهر مايس 2003 حين قال : استقر رأينا على غزو العراق وتغيير النظام لأن هذا العمل كان

القضية الوحيدة التي بوسّع الجميع الاتفاق عليها.

وفي أوائل شهري ليلوں عام 2002 ، ومع تصاعد الأصوات المطالبة باستخدام القوة في العراق ، وجدت وكالة CIA نفسها تحت ضغط من جانب لجنة الاستخبارات التابعة لمجلس الشيوخ لكتابة تقييم حول أسلحة الدمار الشامل العراقية ... ورغم أنهم كانوا يريدون تقدیرات استخباراتية وطنية يحددون بموجبها موقفهم النهائي بشأن تخویل الرئيس بوش سلطة المضي بالأمة الأمريكية إلى الحرب من عدمه ، إلا أنهم في واقع الأمر كانوا يريدون بالتحديد منا تقدیرات تتوافق مع نوایاهم المبیتة ورغبتهم المتعددة في الذهاب للحرب . والمعروف أن تقدیرات المخابرات الوطنية هي حصيلة جهد مشترك تساهم فيه جميع الأجهزة والوكالات الاستخباراتية والأمنية الأمريكية ، وفي مقدمتها CIA التي تتيح لکبار صانعي السياسة في البلاد الموقف الذي تجتمع عليه كلّمة المجتمع الاستخباراتي في الولايات المتحدة بشأن قضية ما معروضة عليه ، وتقديم كل الأراء المتعارضة والأراء البديلة وبمنتھی

الأمانة. و تتطلب عملية إعداد تقديرات الاستخبارات الوطنية عدة أشهر من العمل وتقوم بها CIA ووكالة استخبارات وزارة الدفاع "DIA" ووكالة الأمن القومي الأمريكي NSA ، و مكتب الاستخبارات والأبحاث INR، ووزارة الطاقة "DOE" ووكالة الاستخبارات الأرضية -الفضائية NGA بالإضافة إلى وكالات أخرى. وقد كان من المفترض أن تطلب اللجنة تقديرات المخابرات القومية في وقت مبكر ، ومع ذلك فإنني لم أكن أعتقد - وقتناك - أن هناك حاجة إليه أصلا .. ولكنني كنت مخطئاً في اعتقادي هذا فبينما لم يصدر قرار بعد بالحرب ، إلا أن عقارب الساعة كانت قد دارت متوجهة نحو قرار الحرب من قبل ذلك بوقت طويل ! والحقيقة أتنا كنا نعد بين الفين والفين تقارير حول العراق وتطور أسلحته ، ولكننا كنا في ذلك الوقت مطالبين بالمشاركة في تقديرات المخابرات القومية بشكل أعمق وعلى نحو السرعة ، رغم أن جل اهتمامنا كان منصباً على تنظيم القاعدة ، الذي يمثل الخطر الأعظم ، والتهديد الأكبر. و في يوم 9أيلول عام 2002 طلب مني السيناتور ريتشارد دوربين نائب الكونجرس عن ولاية "إلينوي" "توجيه" الجزء الخاص بوكالتي في تقديرات المخابرات القومية ، والكشف عنه في موجز يتم نشره لشرح القضية للشعب الأمريكي! و في اليوم التالي ، تبعه السيناتور بوب جراهام رئيس لجنة الاستخبارات التابعة لمجلس الشيوخ برسالة بعث بها إلى يطلب مني فيها جعل تقرير المخابرات القومية يتضمن " قيام العراق بتطوير أسلحة دمار شامل وأوضاع القوات العسكرية العراقية بما في ذلك استعدادها وقدرتها علي القتال ، وتأثير أي هجوم أمريكي ضد العراق علي دول الجوار ، ورد فعل صدام المحتمل علي حملة عسكرية أمريكية تستهدف تغيير النظام في العراق! وقد وافقت بعد تردد .وفي 12 أيلول 2002 أيضاً ، طلبت من أفراد مجلس الاستخبارات الوطنية البدء بتحضير تقرير استخباراتي لتضمينه تقديرات الاستخبارات الوطنية حول " : وضعية وطبيعة أسلحة الدمار الشامل العراقية " ، وكان يتعين علي أفراد المركز الإجابة علي سؤالين في تقريرهم : هل صدام يمتلك بالفعل هذه الأسلحة ؟ ، وإن لم يكن يمتلكها فمتى يمكن أن تكون بحوزته ؟ .. ولم أتوقع أن تحدث أية مفاجأة في إجاباتهم عن هذين السؤالين !

وكما كان رد فعلنا إزاء طلب التقديرات ، فقد تسائل أفراد المجلس الاستخباراتي القومي عما إذا كانت هناك فعلاً حاجة إلى مثل هذه التقديرات! ورأى ستيفن هادلي أن المعلومات المطلوبة موجودة بالفعل في تقارير ووثائق أخرى سابقة. ولأنه كان من المقرر أن يتم التصويت في الكونجرس على تخویل الرئيس بوش سلطة إعلان الحرب في أوائل شهر تشرين الأول فقد كان علينا إعداد التقديرات التي تستغرق كامر طبيعي ستة أو عشرة شهور ، كان علينا إعدادها في 3 أسابيع . وحتى هذه الفترة المبتسرة والمختزلة والقصيرة لم ترض بعض أعضاء الكونجرس غير الودودين ، والذين كانوا يريدونها في الحال .. وراح جراهم وأعضاء آخرون ينتقدوننا في الصحف لما وصفوه بالتباطؤ من جانبنا في تقديم التقديرات الاستخباراتية الخاصة بأسلحة دمار العراق! الغريب أيضاً أن بعض أعضاء الكونجرس طلبوا منا تقدير قدرة الجيش الأمريكي على القيام بعمليات في العراق ، رغم أن هذا التقدير لا يدخل في نطاق عملنا كجهاز استخبارات ، ولكن هذا القول لم يرضهم! ولكن ضيق الوقت هذا لا يعفنا من المسئولية فيما جمعناه من بعض المعلومات غير المؤكدة في تقديرات الاستخبارات القومية التي اعتمد وزير خارجيتنا كولن باول على جزء منها في شهر شباط عام 2003 في خطابه أمام الأمم المتحدة ، والذي كان سبباً في تأييد الأميركيين للحرب. لقد دق صقور بوش طبول الحرب مبكراً وضغط حلفاؤهم الكبار في الكونجرس علينا لإدانة صدام!! وذهب بعض المراقبين بعيداً في تضخيم الأمر بتصويرنا في الاستخبارات القومية على أننا شركاء لصانعي السياسة في قرار الحرب ، ولكن الحقيقة هي العكس تماماً ، وحتى بوب وولبول

ضابط الاستخبارات القومية المعروف بنزاهته وقدراته ومهاراته العالية في التحليلات الاستخباراتية ، وأخر من يمكن أن تطلق عليه عبارة " صقر حرب " ، والذي كان المسئول عن هذه التقديرات الخاصة بالعراق ، والتي اشتركت فيها عدة وكالات وأجهزة استخباراتية منها وكالتي ..

هذا الضابط

أتاني وكانت ترسم على وجهه علامات القلق وقال لي مستنكرةً " : ما زلت لا أؤمن بهذه الحرب .. بعض الحروب لها ما يبررها ، ولكن ليست هذه الحرب." وما كان مني إلا أن قلت لـ وولبول : نحن لا نصنع

السياسات .. مهمتنا هي إبلاغ الناس ما نعرفه وما نعتقده عمن يفعل مادا ، ليتخذوا ما يحلو لهم من قرارات حيال ما نبلغهم به. و رغم عدم اقتناع بوب وولبول ، إلا أنه أمضى ليال طوال يبيت الليل في مكتبه لكي ينتهي من مهمته.

نعم خطفونا في الوقت ولكن أخطأونا لم تكن أبداً مبرراً لحربهم وإن أسلحة الدمار العارقة المزعومة كانت مجرد قناع لتسويق الحرب للأمريكيين !!

وبسبب ضغط الوقت ، اضطر المحللون لإنهاء تقاريرهم على وجه السرعة ، ولم يأخذوا وقتهم كمابينبغي واجتمع ممثلوا الوكالات والأجهزة الاستخباراتية الإثنى عشر المشاركة في تقديرات الاستخبارات القومية في يوم 23 أيلول لمراجعة ما تم التوصل إليه من نتائج ، وصياغة مسودة

لتقديرات المطلوبة ، وتم توزيعها على قادة ورؤساء هذه الأجهزة والوكالات المشاركة. و في يوم الثلاثاء 1تشرين الاول اجتمع كبار ممثلين هذه الأجهزة والوكالات مع لبحث ومناقشة واعتماد الوثيقة النهائية لتقديرات المخابرات القومية ، وهذا الاجتماع مكون أساسياً من مكونات آلية إعداد هذه التقديرات. و بسبب ضغط الوقت أيضاً ، كانت هناك قضايا لا بد من التعامل معها ، وحسماها ، على وجه السرعة ، ومنها - على سبيل المثال - مسألة أنابيب الألومنيوم المثيرة للجدل. فلم يكن هناك إجماع على استيراد صدام أنابيب الألومنيوم لبرنامج اسلحته النووية ولكن باول أعلنها في الأمم المتحدة دليلاً لإدانة وبوش استغلها مبرراً للحرب!! وفي اوائل عام 2001 ، تم ضبط العراق متلبساً بشراء 60 ألفاً من أنابيب الألومنيوم سراً وهي من بين المواد المحظورة على العراق استيرادها بموجب العقوبات الدولية المفروضة عليه – وقتذاك -. وتمت عملية ضبطها ومصادرتها في الشرق الأوسط . وحاول وكيل العراقيين دون جدوى الإفراج عن الأنابيب بدعوى أنها في طريقها إلى لبنان لاستخدامها هناك في صناعة أجزاء من سيارات السباق. وبغض النظر عن الغرض الذي كان صدام سيستخدمها فيه إلا أنها من المواد التي كان محظوراً على صدام جلبها بموجب العقوبات. وقد اتفقت كل الأجهزة الاستخباراتية ومنها CIA على أن هذه الأنابيب يمكن إدخال بعض التعديلات عليها لعمل مولدات مركزية يمكن استخدامها في برنامج

نووي. و كان لدى محللي CIA اعتقاد بأن هدف العراقيين من جلب هذه الأنابيب هو استخدامها في تخصيب اليورانيوم ، بينما رأى محللون من وكالات وأجهزة أخرى أنهم سيستخدمونها في صناعة الصواريخ.

و لكي تختبر CIA صحة ما توصل إليه محللوها في هذا الصدد ، فقد استدعت فريق من الخبراء المتمرسين في معمل أوكر ريدج الوطني " الفريق الأحمر " ، وهم خبراء قاموا بالفعل بصناعة مولدات مركبة وأجهزة طرد مركزي . وتوصل هؤلاء الخبراء إلى أن هذه الأنابيب مناسبة للاستخدام في الأغراض النووية أكثر من أي شيء آخر . وحتى خبراء وزارة الطاقة اتفقوا في النهاية مع ما توصل إليه خبراء المعمل الوطني على أن صدام يريد إحياء برنامج أسلحته النووية. ولو كان لدينا ما يكفي من الوقت ، فقد كنت متأكداً من أننا سنؤخر حكمنا على هذه الأنابيب حتى نتأكد أكثر ، ولكن في النهاية فقد اتفقت غالبية ممثلي جميع الوكالات والأجهزة المشاركة في تقديرات الاستخبارات القومية على أن هذه الأنابيب بمثابة دليل على أن صدام يعيد بناء برنامج أسلحته النووية ، ولكن لم يكن هناك إجماع على هذا الاستنتاج! و من الواضح أن وجهات النظر المتعارضة في هذه التقديرات فيما يتعلق بأنابيب الألومنيوم لم يلتفت إليها ، فقد ركز باول في عرضه أدلة إدانة صدام أمام الأمم المتحدة في شباط ، فيما يتعلق بأسلحة دمار الشامل ، على هذه القضية باعتبارها دليل دامغ.

وربما الجزء الذي أسيء فهمه على نطاق واسع في تقديرات المخابرات القومية هو ذلك المتعلق ب " الكعكة الصفراء .." ويشار بها إلى عنصر اليورانيوم الطبيعي الذي لا غنى عن تخصيبه لإنتاج أسلحة نووية.

فقد تضمنت هذه التقديرات عرضاً لما جاء في وثيقة حول محاولات صدام شراء يورانيوم من دولة إفريقية هي النيجر . وقد تم نقل هذا الوثيقة من نشرة وكالة مخابرات وزارة الدفاع لشهر أيلول 2002 وهذه المحاولات ،

التي أشارت إليها هذه الوثيقة – كما جاء في صفحتها الرابعة والعشرين وفي عدد قليل من فقراتها - لم تكن ذات أهمية كبيرة في تقديرات المخابرات القومية ، التي اتخذتها إدارة بوش ذريعة للحرب على

العراق. وقد أشارت تقديرات المخابرات القومية إلى أن صدام استطاع الحصول على كمية كبيرة من اليورانيوم ولكنه لم يحصل منه على ما يكفي لانتاج سلاح نووي . فالمعروف أنه سيكون في حاجة إلى 550 طناً من هذا العنصر المشع إذا ما أراد انتاج 100 سلاح نووي وهي كمية ليس بمحضه تحصيلها . كما أكد التقرير أن يورانيوم النiger الذي تم ضبطه ومصادرته وتحفظ عليه مفتشون دوليون في مكان آمن ومحصن ، ولم يصل إلى صدام . ورغم الانتقادات التي تصاعدت حذتها فيما بعد ضد تقديرات المخابرات حول يورانيوم النiger ، باعتبار أنها قدمت لبوش أحد مبررات الحرب باعتبارها دليلاً على سعي صدام لانتاج سلاح نووي .. رغم ذلك فإن يورانيوم النiger لم يدخل ضمن ستة أسلوبات أوردتها التقديرات واتفقت عليها جميع الأجهزة والوكالات الاستخباراتية المختلفة باستثناء مكتب استخبارات وأبحاث وزارة الخارجية تدل على أن العراق كان يستأنف في تلك الفترة برنامج أسلحته النووية . ورغم ذلك أيضاً فقد أشار هذا المكتب في التقديرات عن اعتقاده بأن العراق يواصل ولكن على نطاق ضيق وحدود إعادة بناء قدراته النووية .

وأستطيع القول أننا خرجنا بعملية تقييمنا لأسلحة صدام إلى خلاصة مفادها أنه لا يمتلك سلاحاً نووياً، وأنه لو قدر له أن يفعل فلن يكون لديه يورانيوم مخصب يمكنه استخدامه فيما بعد لتحقيق ذلك الغرض إلا في الفترة ما بين عامي 2007-2009 ، ولكننا أشرنا في التقديرات إلى أننا لسنا واثقين تماماً من هذا التقييم الأخير . وأشارنا أيضاً في التقديرات إلى أنه لو قدر لصدام أن يحصل على اليورانيوم المخصب من أي مكان آخر فإنه ليس لدينا دليل كاف يشير إلى أن لديه برنامج نووي شامل ومتكملاً لتطوير أسلحة نووية . ومع ذلك ، فلم يشك أحد من ممثلي الأجهزة والوكالات الاستخباراتية المشاركة في التقديرات في أن صدام يمتلك فعلاً برنامج لتطوير أسلحة كيماوية وبيولوجية . وجاء في التقديرات أن صدام كان يقوم بمواصلة وتوسيعة جهوده لانتاج صاروخ بالستي منتهكاً العقوبات الدولية . وقد حولت الإداره تقديراتنا للصاروخ إلى مبرر حاسم أيضاً للحرب! وعلى عكس سوء الفهم الشائع لدى الأمريكيين ، أشارت التقديرات إلى وجهات النظر المتعارضة بين الأجهزة والوكالات المشاركة في كتابتها ، والتي تم تدوينها بلون خاص

لتمييزها ، والتي احتلت 16 صفحة من صفحات التقديرات البالغ عددها 90 صفحة.

أكدا في تقديرات المخابرات القومية أن صدام لا يمتلك سلاحاً نووياً ولكننا ضخمنا في تقديراتنا من خطره فاستغلها دعاة الحرب أسوأ استغلال!! والآن استطيع أن أقر بأننا وإن كنا نفعل ما نراه صواباً في ذلك الوقت الضيق ، وتحت ضغوط هائلة سياسية ، وإدارة تريد منا تقديم مبررات لتسويقها شعبياً حتى تذهب بالبلاد إلى الحرب ، إلا أنها نتحمل جزءاً من مسؤولية الخل الذي حدث في تقييم تقديرات الاستخبارات القومية عن برامج الأسلحة في العراق ، إنني لأنшу بالأسف لأن الوثيقة ، التي حملت تقديرات الاستخبارات القومية ، لم تكن أكثر دقة مما كانت عليه ساعة قدمتها ، ولكن لم يكن لدينا شك – وقتذاك - بأن صدام يملك أسلحة غير تقليدية . وإذا ما عدنا للوراء ، سنجد أننا اخطأنا إلى حد ما عندما استسلمنا للضغط نسبياً عندما وجدنا أن الحقيقة لم تكن قابلة للتصديق. و ربما تكون غلطتنا هي أنها بالغنا في تقدير حجم التقدم الذي كان يحرزه صدام على طريق تطوير برامج أسلحته.

كانت غلطتنا أيضاً هي أنها لم نقل إن معلوماتنا الاستخباراتية لم تكن كافية لكي تقطع الشك باليقين في مسألة برامج أسلحة صدام. ففي ربيع عام 2004، وأثناء ظهوري الأخير أمام لجنة الاستخبارات بمجلس النواب علق السناتور نورم ديكس على تقديرات الاستخبارات القومية .. كان نورم صديقاً للعاملين في أوساط المجتمع المخابراتي ، ولدي شخصياً ومنذ فترة طويلة ، ومع ذلك فقد تحدث إلى ذاك اليوم بكلمات فظيعة عبرت عن موقفه الرافض لما جاء في تلك التقديرات ، وصدمته في شخصي بعد الثقة الكبيرة

التي كان يوليني إياها .. قال " : لقد اعتمدنا عليك .. ولكنك هويت بنا إلى الحضيض.".

بالنسبة لي ، كانت هذه اللحظة هي الأسوأ في سنوات رئاستي السبع لـ CIA ، لأنني كنت أعرف أنه حق!!

لا سلطة ولا سلطان لصدام على القاعدة

في شهر آذار 2003 ، قلت للرئيس بوش" : سيدى الرئيس ..نائب الرئيس يريد إلقاء خطاب حول العراق والقاعدة يتجاوز ما تظاهره تقاريرنا من معلومات استخباراتية ..ونحن لا نستطيع مساندة هذا الخطاب ، ولا ينبغي القاؤه." وبالفعل لم يلق تشيني خطابه ، ولم نسمع شيئاً عن هذا الخطاب ، أو ما حدث بين بوش وتشيني لغائه ، أو كيف أثناء الأول عنه في سابقة هي الأولى من نوعها ، نظراً لتأثير تشيني المحدود على الرئيس.أعضاء إدارة بوش يعتقدون أنهم ملمون بكل أبعادها ، في الوقت الذي لم تجر فيه أي مناقشة داخل الإدارة بما يتعلق بمحصلة استنتاجاتنا بالنسبة لهذه القضية .ومع ذلك ، فقد كان النقاد منصباً ، ومركزاً بقوة على علاقة العراق بالقاعدة وتورطه في هجمات سبتمبر .ومن وجهاً نظر بعض المحللين كان هذا النقاش ضاغطاً في اتجاه إثبات هذه العلاقة بغض النظر عن واقع الحال.

لقد أخذوا نصف شهادتي في الكونгрس عن اتصالات قديمة وعاشرة بين نظام صدام و القاعدة وتركوا النصف الآخر الذي ينفي علاقته بالقاعدة والهجمات!! ربما كان بمقدورنا التنويه لاحتمال وجود اتصالات جرت بين العراق والقاعدة تعود لفترة وجود بن لادن في السودان ، قبل عشر سنوات ، ولكن لم تتطور هذه الاتصالات أبداً لعلاقة أو رابطة.

وربما كان بمقدورنا التنويه عن عثور أبو مصعب الزرقاوي لبعض الوقت - فيما مضى - على ملاذ آمن في العراق لتلقي العلاج من إصابات لحقت به .وربما كان بمقدورنا أيضاً التنويه عن عشرات المصريين من نشطاء تنظيم الجهاد المصري ، الذين تم رصدهم في بغداد في ربيع وصيف عام

2002. ربما كان بمقدورنا أن ننوه عن ذلك ، ولكن الشيء الوحيد الذي كنا متأكدين منه هو أننا أبلغنا الكونгрس علي الدوام بأن تقاريرنا الاستخباراتية " لا تظهر أي صلة ، أو سلطة ، أو سيطرة ، أو توجيه ، أو أي شيء يتعلق بأي دور يمكن أن يكون قد لعبه العراقيون ، فيما يتعلق بأي من الأعمال الإرهابية ، التينفذتها القاعدة ." وهذا التأكيد

مني على عدم وجود صلة بين صدام والقاعدة كتبناه مرة أخرى – وحرفيًا - في وثيقة قدمناها للبيت الأبيض ، واطلع عليها الجميع وفي مقدمتهم

نائب الرئيس تشيني وكوندوليزا رايس مستشاررة الرئيس للأمن القومي وبالطبع فيث وولفويتز! ودعوني أقولها ثانية : لم تعر CIA مطلقاً على أي صلة لصدام بهجمات 11أيلول . وفي أفضل الأحوال فإن المعلومات التي كانت بحوزتنا تشير إلى " عدو عدو يمكن أن يكون صديقي ". كل عدو منها يحاول أن يستفيد من وجود الآخر . وفي عالم الإرهاب لا وجود لشيء واضح تماماً ، أو في جميع الأحوال . وحتى تكون المعلومات الاستخباراتية ، ويطلب التعامل مع ضبابية هذه المعلومات جهداً مضنياً للتحقيق في كل معلومة حتى تكون متأكدين من استنتاجاتنا فيما يتعلق بهذه القضية ..وهكذا فعلنا . والنتيجة أن لا صلة لصدام بما فعلته القاعدة في 11أيلول . ولكن هناك من طبع كتاباً يشير فيها إلى أننا ورطنا الرئيس عندما أبلغاه بوجود مثل هذه الصلات التي كنا على يقين من أنها غير قائمة على أرض الواقع ، وأنه بناء على هذا قرر حرب العراق! راجعوا مذكرة فيث السرية لكونجرس التي سربت لمجلة " ويكي ستاندرد " وفبرك فيها معلومات استخباراتية نيابة عن تشيني وولفويتز لربط صدام بين لادن ..والعراق بالقاعدة!! وغالباً ما ينسى أفراد الإدارة أنهم كانوا يضغطون علينا حتى نقول ما يرضيهم(أي التأكيد على هذه الصلة بين صدام والقاعدة والهجمات) ، وفي مقدمة هؤلاء تشيني نائب بوش وبباقي الزبائن وولفويتز وسكوتر ليبي على سبيل المثال . الذين كلما نفينا لهم هذه الصلة طالبونا بإعادة البحث وإعادة البحث وإعادة البحث وهكذا!! و مما يؤكد كلامي أن موقف وولفويتز مثلاً من العراق لم يكن بالجديد ويمكن العودة لكتابه ، الذي أصدره من خلال دار لوري ميلوري في عام 2000 " :بحث سبل الانتقام : حرب صدام حسين التي لا تنتهي ضد أمريكا ". يزعم فيه أن منفذ الهجوم بالمتفجرات على مركز التجارة العالمي كان عميلاً للمخابرات العراقية. و الحقيقة أنه في الوقت الذي كنا متشغلين فيه بالمتطرفين السنة حول العالم وحربهم ضدنا ، كان أفراد الإدارة منشغلين بربط صدام بارهاب القاعدة. وفي سعيهم المحموم لإثبات صلة غير موجودة بين صدام والقاعدة ، والذي كان قد بدأ منذ زمن طويل ، نشرت مجلة "

ويكلي ستاندرد " في عددها الصادر بتاريخ 24 تشرين الثاني 2003 موضوعاً مطولاً عنوانه " : القضية حسمت " ، ترکز في أساسه على مذكرة باللغة السرية كشفت عنها المجلة ، وكان قد بعث بها دوجلاس فيث ، أحد أقطاب المحافظين الجدد دعاة الحرب في إدارة بوش ، لبات روبرتس رئيس لجنة استخبارات مجلس الشيوخ قبل أسبوعين من نشر الموضوع . ويقول موضوع المجلة أن مذكرة فيث تؤكد " إن جميع التقارير المخابراتية الموثوقة بها ، والشاملة ، و "المفصلة التي تم جمعها ، ومن مصادر مختلفة تؤكد وجود " صلة عملياتية " بين أسامة بن لادن وصدام حسين تعود إلى أوائل التسعينيات." . والحقيقة أن جميع المعلومات الاستخباراتية الواردة في مذكرة فيث هي معلومات قام فيث ومعه سكوتر ليبي بتحريفها وتوجيهها بحيث تخدم في النهاية الهدف المطلوب ، والذي يسعى إليه تشنيني وثلاثته منذ البداية وهو تبرير الحرب بإدانة نظامه بتهمة بالإرهاب ، بالربط بين صدام والقاعدة .

لقد سؤل تشنيني عن صلة العراق بالقاعدة فرد : أفضل طريقة لمعرفة الحقيقة هي قراءة مذكرة فيث في ويكي ستاندرد ! وبعد شهرين كان نائب الرئيس ديك تشنيني في زيارة لـ " دينفر " ولدى سؤاله عما إذا كانت هناك صلة بين العراق والقاعدة ، رد قائلاً " : ماجاء في مذكرة فيث التي تسربت ونشرتها ويكي ستاندرد هي أفضل مصدر للمعلومات حول هذه الصلة!! " وأنا لا أتفق معه فيما ذهب إليه ، لأن أفضل مصدر للمعلومات في هذا الصدد هو تقريرنا الصادر في كانون الثاني 2003 الذي قلنا فيها أنه " : لا توجد أي صلة ، أو سلطة ، أو سيطرة ، أو توجيه ، أو أي شيء يتعلق بأي دور يمكن أن يكون قد لعبه العراق ، فيما يتعلق بأي من الأعمال الإرهابية ، التي نفذتها القاعدة." . والسبب هو أن فيث وكيل وزارة الدفاع للشؤون السياسية ، والذي ترأس وحدة البنتاغون التي زودت البيت الأبيض بمعلومات مشكوك فيها عن وجود صلة بين القاعدة والعراق ، يقدم هنا اتهاماً من تحليله هو نفسه ومعه باقي أقطاب محافظي الإدارة. الغريب أن كل من كان يريد من إدارة بوش ، وفي مقدمتهم تشنيني وفيث ووولفويتز وستيفن هادلي، الربط بين صدام والقاعدة ، كان يقدم ما يقوله هو ولا علاقة لذلك بمعلومات استخباراتية مؤكدة ، ولو طالما كان بعضهم ينسب إلينا ما لم نقله في تقاريرنا. ورغم ذلك فكل أقطاب المحافظين الجدد

عندما فشلوا في حربهم ، عادوا ليلاصقوا كل شيء بجورج تينيت ، ولم يتحدث أحد منهم أو يكتب كما كان يتحدث أو يكتب ليثبت صلة قنا لهم مراراً وتكراراً أنها

غير موجودة!! وحتى يومنا هذا ، وهم مستمرون فيما يروجون إليه . في عشية الذكرى الخامسة لهجمات الحادي عشر من سبتمبر ، ظهر نائب الرئيس ديك تشيني على شاشة التيليفزيون في برنامج " واجه الصحافة

" الذي تبته قناة " إن . بي . سي . " وفي البرنامج سؤل تشيني عن تصريحات أقطاب إدارة بوش - وهو منهم - والتي ربطت بين العراق وهجمات سبتمبر ، فما كان منه إلا أن ابتلع السؤال فيما يتعلق بالجزء الخاص به وبطانته ، وبدلأ من الإجابة ، راح يشير إلى شهادتي أمام لجنة تحقيق الكونجرس

في هجمات سبتمبر قبل ثلاث سنوات . وقال تشيني : ربما تكون أفضل إجابة موجودة فيما قاله جورج تينيت في شهادته أمام لجنة التحقيق في هجمات سبتمبر . تلك الجلسة المعلنة ، حيث قال إن هناك صلة بين العراق والقاعدة تعود بداياتها إلى عقد من الزمان على الأقل .

وفي برنامج " فوكس نيوز صنداي " الذي تقدمه قناة فوكس الإخبارية الأمريكية كل يوم أحد ، سولت كوندوليزا رايس سؤالاً مشابهاً فقدمت إجابة مشابهة . قالت رايس لمقدم البرنامج : ما اعتمد عليه الرئيس بوش وأنا وبباقي أفراد الإدارة وكذلك أنت ببساطة هو وكالة المخابرات المركزية .. وقد قدم مديرها جورج تينيت شهادة تؤكد حقيقة وجود صلات بين القاعدة وصدام تعود بداياتها إلى عقد من الزمان . " ونقلت كوندي قولي " : كانت هناك اتصالات بين الاثنين كما جاء في تحقيقات لجنة هجمات 11أيلول " وهكذا حمل تشيني ومعه كوندي شهادتي معهما أينما حلوا أو ارتحلوا ، ولكنهما جعلوا حديثي عن وجود اتصالات فيما مضى دليلاً على وجود صلة بين صدام والقاعدة وهجمات أيلول وهناك فارق كبير بين اتصالات قديمة و " علاقات " و " صلات " و " عمليات مشتركة " . " كما لم يذكر أي منها أبداً أنني أبلغتهما في الوقت عينه ، كما أبلغت الكونجرس ، أن مخابراتنا لم تظهر أبداً أنه لا العراق ولا القاعدة قد سعيا لاستغلال أحدهما الآخر . الحقيقة أننا في CIA لم يكن أبداً ثمة دليل على أن نظام صدام سلطة على القاعدة أو

يمارس أي شكل من أشكال التوجيه معها ، أو له أي شكل من أشكال السيطرة على عملياته .. وكل ما فعله تشنيني ورائيس ومن حولهما هو أنهم رروا نصف القصة فقط!!

هذه هي حكايتها مع "الضربة المضمنة" وكتاب "الخطة هجوم"

عبارة دارجة في بلاد العم سام قبّلت حياة مدير مخابرات أمريكا رأساً على عقب ، وجعلته يبدو للرأي العام الأمريكي والعالمي كأحمق ، لا سيما بعد أن صوروه ينهض عن مجلسه ويقفز ملوحاً بيديه الهواء في حركة درامية "Slam Dunk" أو "الضربة المضمنة" هي العبارة التي قالت إدارة بوش إن تفوه تينيت بها حسم الأمر ، ودفعها لجر البلاد لحرب العراق لأنه كان يؤكد بها امتلاك صدام لأسلحة دمار شامل ..تینيت هنا لا ينفي أنه قالها ، ولا ينفي اعتقاده بوجود أسلحة حتى (مجرد اعتقاد

لم يؤكده أبداً في تقاريره) لكنه يتهم إدارة بوش بسلخها من السياق ، لتشير لمعنى آخر ، روجت له بين أوساط الأميركيين والعالم ، ومررتها بخبث الصحافة مما جعل صحفي كبير مثل بوب وودورد يستخدمها في كتاب شهير له كدليل إدانة ضد تينيت ، في الوقت الذي يؤكد تينيت هنا أن المشهد الحقيقى في البيت الأبيض لم يجر مطلاً على هذا النحو.

يعتقد الكثير من الأميركيين اليوم أن استخدامي لتعبير "Slam Dunk الضربة المضمنة" ، كان اللحظة الفارقة التي أشعلت إصرار وتصميم الرئيس بوش للإطاحة بصدام حسين وشن الحرب على العراق.

ولكن وعلى الرغم من أن هذا التعبير قد خرج مني بالتأكيد ، إلا أنه قد نزع من سياقه ، في افتراء على الحقائق والملابسات ، التي صاحبت لحظة النطق به. فهاتان الكلمتان وكذلك الاجتماع الذي نطقت فيه بهما في المكتب البيضاوي بالبيت الأبيض في أيلول عام 2002 ، لم يكن لا لهاتين الكلمتين ، ولا للجتماع أي تأثير من أي نوع على قرار الرئيس بإرسال القوات الأمريكية إلى العراق . فقد كان هذا القرار قد تم اتخاذه بالفعل قبل هذا الاجتماع . وفي الحقيقة ، فإن هذا الاجتماع جاء بعد 10 شهور من مطالعة الرئيس بوش لأول خطوة حرب على العراق قبلة لتنفيذها ، و بعد 4 شهور من خطاب ديك تشيني نائب الرئيس أمام المحاربين القدامى والذي قال فيه " لا يوجد شاك " في أن صدام يمتلك

أسلحة دمار شامل ، و بعد 3 شهور من إبلاغ الرئيس بوش الأمم المتحدة بأنه " : يتعين على النظام العراقي " فوراً ودون قيد او شرط أن يعترف ويكشف ويزيل أو يدمر جميع أسلحة الدمار الشامل والصواريخ البعيدة المدى وكل ما يتعلق بها" ، و بعد عدة شهور من بدء وزارة الدفاع الأمريكية " الانتاجون " إعادة توجيه الموارد المستخدمة في الحرب لنشرها في أماكن في الشرق الأوسط. و بعد شهرين من منح الكونجرس الرئيس بوش سلطة استخدام القوة ضد العراق وما يترب على ذلك ، وبعد أسبوعين من إصدار وزارة الدفاع الأمريكية " الانتاجون " لأول أمر عسكري بنشر قرار خاص بإرسال قوات أمريكية للعراق.

و كما يحدث في الغالب بالنسبة لهذه المسائل ، فقد اختلف سياق كلامي ولم تبق منه سوى هاتين الكلمتين ، لتهما - فيما بعد - لأبعد مدى يمكن تصوره عن سياقهما الحقيقي ، اللتين ذكرتهما فيه.. ودعوني أصف لكم المشهد الذي قلتهما فيه :

في يوم السبت 21 أيلول ، ذهبت إلى البيت الأبيض لتقديم الموجز المخابراتي اليومي المعتمد ، الذي كنت أقدمه للرئيس ستة أيام في الأسبوع . ولكن في ذلك اليوم كان هناك اجتماع إضافي تقرر عقده بعد هذا الاجتماع الصباحي . وكان مسؤلو مجلس الأمن القومي الأمريكي قد طلبوا منا في CIA

قبل أسبوعين ونصف أسبوع أن نبدأ" في صياغة قضية يتم تقديمها للعامة ضد صدام وتركز تحديداً على امتلاكه أسلحة دمار شامل واحتمال استخدامه لها." وعلى الرغم من أن هذا العرض أو القضية التي طلب منها تقديمها ضد صدام ، حدث وأن استخدمها وزير الخارجية كولن باول في خطابه الشهير الذي ألقاه أمام الأمم المتحدة فيما بعد ، إلا أنه لم يكن من الواضح في ذلك الاجتماع من هم " العامة " المستهدفين مما سنقدمه على وجه الدقة . لقد بدا لنا في هذا الاجتماع أننا سنقدم موجزا يمكن - فيما بعد - الإعلان عنه . وقد أوضح فريق العاملين بالبيت الأبيض " ضباط أركان الرئيس " في ذلك الاجتماع أنهم يبحثون عن " لحظة آدلاي ستيفنسون " في إشارة منهم لعرض ستيفنسون الشهير أمام الأمم المتحدة إبان أزمة الصواريخ الكوبية .. وقد أبلغهم بوب وولبول في الاجتماع أن ما جمعناه من معلومات استخباراتية لا يليبي طلبهم [إيضاح

من المترجم : آدلاي ستيفنسون منافس دواينت آيزنهاور في انتخابات الرئاسة في الخمسينيات ، والسفير الأمريكي في إدارة الرئيس الراحل جون كنيدي الذي وقف في نفس المنبر ، الذي وقف فيه باول ، قبل حوالي أربعين عاماً ، وبالتحديد في 25 تشرين الاول 1962 خلال أزمة الصواريخ الكوبية ، ليدين ببراعة موقع الصواريخ الجديدة الروسية في كوبا . ورغم أن الكوبيين والروس انكروا من جانبهم وجود أية صواريخ ، وان الأمر برمه لا يعدو كونه مجرد اكاذيب ، إلا أن ستيفنسون كان بارعاً في عرضه ومقدماً ومؤثراً للغاية ، وأصبح الأميركيون يضربون به المثل ، وراحوا يطلقون على " لحظة التجلّي " التي ينجح فيها شخص ما في التأثير على مستمعيه لصالح القضية التي يحاول استعمالتهم إليها حتى ولو كانت غير حقيقة " لحظة ستيفنسون "[١]

وخلال اسابيع قليلة جمع فريق صغير من محللي الوكالة المواد المطلوبة . وجاء دورى لتوزيعها على الرئيس ونائبه وأندي كارد وكوندوليزا رايس وعدد قليل من مسؤولين آخرين . ووقع الاختيار على جون ماجلوكلين نائبي لكي يقدم العرض المطلوب الذي قمنا بإعداده . وجون كان بطل الوكالة في العرض والمناقشة . ورجل لا يلتف حول الحقائق ، او من هواة الفرقعة او التهويل ، وكان مشهوراً في وكالتنا بأنه كان دائماً يتحرى الدقة في تقديماته وعروضه . وقد جلب جون معه بعض الخرائط لتوضيح النقاط التي سيتناولها ، ومساعدة تنفيذي له ، لمساعدته فيما يستعرضه بالوسائل المرئية .

ومن المهم أن نذكر ما كان جون يفعله ذلك الصباح ، والتهمة التي تم توجيهها إلينا . فالحقيقة أن أحداً في هذا الاجتماع لم يكن ينتظر منا أن نبحث فيما إذا كان صدام يمتلك أسلحة دمار شامل أم لا . بكل من حضر الاجتماع حتى رؤساء الأجهزة الاستخباراتية الرئيسية في الولايات المتحدة كان يعتقد بالفعل أن صدام لديه أسلحة كيماوية وبيولوجية ، في الوقت الذي يعمل فيه عليتطوير برنامج نووي . وقد كانت المعلومات المنقوصة ، التي يقدمها صدام في بياناته للأمم المتحدة ، وفيض المعلومات التي يتم تلقيها من المصادر المخابراتية المتمركرة في أماكنها الصحيحة أدت إلى شيء واحد فقط هو تعزيز ثقتنا في معلوماتنا في حينه . ولم تكن مهمتنا ذلك اليوم – بالنسبة لنا – هي البرهنة على امتلاك صدام لأسلحة دمار شامل ، وإنما كانت استخراج وكتابة

المعلومات المتعلقة بأسلحة الدمار الشامل العراقية التي نعتقد أنها) أ (صححة) ب (يمكن الكشف عنها للرأي العام دون الحق الذي بمصادر أو وسائل مخابراتنا). وكنا لا نريد أن نضع فيما سنقدمه لعرضه على الرأي العام أي شيء يعرض حياة عمالئنا للخطر ، أو يعرقل استمرار تدفق المعلومات الثمينة من جانب مصادرنا. ولم يكن ما قاله جون جيدياً بالنسبة لأي شخص كان يحضر ذلك الاجتماع. وربما كان الأمر الذي لم يكن من الممكن تفاديه ، في ضوء سقف التوقعات العالية للحاضرين، هو ان عرض جون لم يحظ في بداياته بترحيبهم .. هذه هي اللقطة الأولى " قطع " ، ومع موافصلة جون لعرضه بدأوا يتولون إلى وجوه مكفهرة وعليها علامات الغيظ الشديد . فقد كان ما قدمناه لا يناسب ذلك العرض المطلوب من جانبنا لتقدمه إدارة بوش للشعب الأمريكي لاقناعه باحتمالية الحرب ، وكسب تأييد لها .. ذلك العرض الذي كان البيت الأبيض يبحث عنه وينتظر منا تقديمه. وقد شعرت بخيبة الأمل لأنه كان بإمكاننا تضمين بعض المعلومات التي وردت بتقديرات المخابرات القومية في عرضنا ، وأيضاً شعرت أننا أضمننا وقت الرئيس في تكرار ما قدمناه إليه من قبل بالفعل! ومع ذلك ، فقد حيا الرئيس بوش جون على عرضه، قائلاً " : حسناً .. عرض جيد .. " ولكنه أردد قائلاً " : ولكن ما سمعته لتوى لا يتحمل أن يستميل الرأي العام ويمكننا أن نضيف بعض التوابيل للعرض بإحضار بعض المحامين المتمرسين في عرض القضايا بطرق ينجون معها في استمالة المحلفين. العجيب أن أحداً من الحاضرين لم يطلب منا في أي لحظة أثناء الاجتماع جمع المزيد من المعلومات للتأكد مما إذا كانت هناك فعلاً أسلحة دمار شامل لدى صدام من عدمه .. !!

وكما قلت ، كان كل من بالمجتمع يعتقد بأن صدام يمتلك فعلاً هذه الأسلحة. وقد ينتقدنا البعض لأننا شاركنا في هذا الاجتماع الهدف لصياغة قضية لتسويقها للأمريكيين ،

ولكننا مع ذلك كنا حريصين على أن تكون معلوماتنا في هذا العرض متفقة مع ما نعتقد في صحته ، ولا تتضمن الكشف عن معلومات أو مصادر حساسة.

لقد اردت بعبارة **Islam Dunk** التأكيد على إضافة معلومات تدعم ما نقوله، و لكنهم روجوا له كتأكيد مني على امتلاك صدام لأسلحة دمار

ومبررا لحربهم!! ولهذا الهدف فقد قلت عندما سؤلت عما إذا كانت لدينا معلومات إضافية أخرى لم نضمنها عرضنا ، و كنت واثقاً من أن لدينا بالفعل ، فقلت أن بإمكاننا الكشف عن معلومات واتصالات وإشارات اعتبرضناها وصور التقطتها أقمارنا الاصطناعية وتقارير من مصادر لمساعدة الرأي العام لفهم ما نعتقد في صحته. وببساطة ، فإنني لو كنت قد قلت " أنا متأكد أننا نستطيع تقديم عرض أفضل " لما كتب هذا الفصل من كتابي ، وربما ما كتب الكتاب بأكمله . ولكن وبدلاً من ذلك أبلغ الرئيس بوش أن تعزيز العرض أي مسألة **Slam Dunk** " " بعض المعلومات في نفس الإطار الذي يرتكز عليه عرضنا هو ضربة مضمونة بمعنى ستفعل ذلك فعلاً . ولكن هذه العبارة سلخت - فيما بعد - من سياقها هذا بالكامل ، وأصبحت لعنة تطاردني - على الدوام - منذ أول مرة ظهرت فيها بكتاب بوب وودورد" خطبة الهجوم! " ولكن من روی هذا المشهد - فيما بعد - لبوب وودورد ليضممه كتابه رسم صورة كاريكاتيرية تثير السخرية لشخصي في الاجتماع ، كأحمق ينهض ، ويلوح بيديه في الهواء ، ويقول تلك الكلمتين ، تأكيداً منه على امتلاك صدام أسلحة دمار وأن إدانته بهذه التهمة " ضربة مضمونة ، أو مسألة منتهية " ، وأن إدارة بوش تبنت " خيار " الذهاب إلى الحرب اتكاءً على عبارة " **Slam Dunk** " التي تشير إلى معلومات استخباراتية قدمها تينيت مدير CIA ، وهي المعلومات التي تبين لاحقاً بأنها خاطئة ، عندما لم يعثر الأميركيون على أية أسلحة دمار شامل عراقية .
كذبوا على وودورد وصوروني كأحمق يخطب بيديه الهواء . أسألوا ماجلو؛لين!! الكل يعرف أنني لم أمثل " بانتومايم الباسكتبول " هذا الذي مرره لودورد!! وبغض النظر عن المصدر الذي استقى منه وودورد معلوماته التي جعلتني أبدو أحمق ، وبغض النظر عما إذا كان هذا المصدر رجلاً أم إمراة ، إلا أن ما تفوهوا به به ليست له أية مصداقية ، كما أنه

لا يلتزم الحقيقة. وعلى الرغم من أنني غالباً ما أحتد أو انهض من مكانني أثناء حديثي ملوباً بيدي ، إلا أنني وكذلك جون ماجلوكلين نعرف بقيناً أن بانتومايم الباسكتبول هذا لم يحدث. وأنا هنا لا أنفي أنني تفوهت بعبارة " الضربة المضمونة " أو أنني كان لدي اعتقاد قوي بوجود أسلحة دمار لدى صدام ، ولكن العبارة من وجهة نظري قد أسيء

استخدامها دولياً ، ومن هنا أسيء فهمي بالكامل من جانب الرأي العام وعلى أوسع نطاق! لقد راجعت أنا وجون ما جرى ، وسألنا ضابط آخر في CIA كان يجلس بجواري بالمكتب البيضاوي أثناء الاجتماع في ذاك الصباح ، والذي كان يرافقني إلى اجتماعي الصباحي مع الرئيس لتقديم الموجز الاستخباراتي علي مدى ما يقرب من ثلاثة سنوات . قال هذا الضابط : أتذكر أنك قلت "سلام دانك" ولم تفعل أي شيء آخر ، وكان تعقيباً سريعاً من مرور الكرام ." و قال الضابط : عندما نقارن بين ما جرى بالضبط وما تم تصويره سنجد أن الأمر برمته لا علاقة له بما صوروه ، وما قالوه من أنك ما إن نطقت بالعبارة حتى شعروا جميعاً بالارتياح إزاء ما قدمناه ، وقالوا إذن دعونا نذهب للحرب ، ليس بـ صحيح على الإطلاق."

إنني أنسح أي مدير مخابرات جديد بتحري الدقة في لغته مع الرئيس

وأن يتوقع تسريب وتحريف ما يقوله في المجتمعات المغلقة!! وأريد هنا أن أنسح أي مدير مخابرات يشغل مكانى في المستقبل ويطمح في أن يشارك في اجتماع للإدارة ، علي مستو عال كهذا ، وأقول له :-

أولاً : لا تبتعد أبداً عن الأضواء لأن ما ستقوله في المجتمعات المغلقة سيتم تسريبه وتحويره وتحريفه ليستخدم ضدك وعندما تحاول تصحيح الصورة يكون الوقت قد فات والصورة المسيئة قد ترسخت في الأذهان .

وهذا ما جرت عليه الأمور وما زالت تجري في واشنطن ! ثانياً : في منصب كالذي شغله ، أنت تدين للرئيس بتحري الدقة في لغتك معه ، وأنا لم أفعل هذا معه ، لأن تعبيراً عفويَا كالذي قلته تم تحريفه وسلخه من سياقه لتحويل اللوم علي حرب العراق من إدارة بوش إلى CIA بصفة عامة ، وشخصي علي وجه الخصوص.

ثالثاً : أنسح مدراء الوكالة في المستقبل بتوكيل الحبطة والحذر من الأفخاخ التي قد ينصبها لهم صانعوا السياسة فيما يتعلق بما يقدمونه من معلومات مخابراتية تتعلق بسياساتهم.

وأستطيع أن أقول - وبأمانة - أننا كنا نسعى علي الدوام لتقديم أفضل استنتاجاتنا وأحكامنا للرئيس ، ولم نتجاوز أبداً استنتاجاتنا وأحكامنا ، لتبرير سياسة معينة ، وأن كل من يحاول القول أو الترويج لما مفاده أننا

كنا

بلغ الرئيس بما يريد أن يسمعه هو على خطأ.

هذا ما أريد قوله في هذا الصدد ، وأضيف بأنني وكذلك الرئيس نشتراك في تفوهنا أحياناً بكلمات عفوية مثل تعبيره " أحضروهم إلى هنا "في إشارته لمدبري هجمات أيلول، أو تعبيري " الضربة المضمنة " واعتقد إن الرئيس يعرف أنني كذلك ، بالضبط كما أعرف أنه كذلك !

بعد أن تدهور الوضع الأمني في العراق منذ نهاية عام 2003 ، ومع ازدياد حدة ، وبدلاً من اعترافهم بمسؤوليتهم عما يجري ، راح أعضاء إدارة بوش يرددون على الدوام هذه العبارة " : لا تلومونا .. صبوا لومكم على جورج تينيت ووكالته الذين جرونا إلى هذا المستنقع " ، ولا يزال

أعضاء بعینهم في إدارة بوش حتى يومنا هذا يرددون عباره " سلام دانك " ففي برنامج " واجه الصحافة " في العاشر من أيلول عام 2006 ، رد ديك تشيني نائب الرئيس على سؤال لمقدم الحلقة تيم روسيرت عن سبب الحرب بالإشارة إلى عبارتي " سلام دانك " ولم يقلها مرة واحدة ، وإنما مرتين . وتخيل أنك كنت في حاجة لمجرد عباره كي تتخذ قرارك بالذهاب للحرب !!

وعودة إلى بوب وودورد أقول إن البيت الأبيض كان قد طلب من CIA في بداية حرب العراق التعاون مع وودورد لإعداد كتابه هذا الذي أساء إلى فيه بسبب معلومات خاطئة تم تسريبها عمداً إليه !! وكنا قد قدمنا بعض المعلومات لودورد أثناء إعداده كتابه السابق "بوش في حالة حرب " ، وبناء على طلب البيت الأبيض أيضاً . ولكن ونظراً لأنشغالنا في تلك الفترة بالحرب في أفغانستان وحرب العراق مستمرة ومعها البحث عن أسلحة دمار صدام ، فقد اعتذرنا عن مساعدة وودورد ، ولكن البيت الأبيض كتب لنا يقول : نحن نتعاون تماماً مع وودورد ونود أن تحذو CIA حذونا."

وقد نقل وودورد فيما بعد قول الرئيس بوش له " : لقد كان تعليقك في كتابك على " سلام دانك " لحظة مهمة للغاية ." وإنني لأشك فعلًا في أن يكون الرئيس بوش قد أعلن الحرب بسبب تعبيري ، او أن يكون هذا التعبير قد أضفى شرعية على قرار الحرب وتوقيتها . والاحتمال الأكبر

هو أن يكون مساعدو بوش الذين سربوا التعبير المحرف إلى وودورد،
هم الذين
أعدوا مقابلة الصحفية التي أجرتها وودورد مع بوش . وقد تحدثت مع
وودورد عدة مرات منذ صدور كتابه ، وهو بالطبع لا يعتقد في أنه قد
استغل الأمر ضدي ، أو أنه لم يكن منصفاً معي ..ولكنه قال إن تعبيري " سلام دانك " لم يكن بالأهمية القصوى التي صوره البعض بها. ولكن
عندما ظهر وودورد على شاشة التليفزيون في عام 2005 ليدافع عن
نفسه ضد اتهامه بأنه لم يعترف بحقيقة الدور الذي لعبه في قضية
تسريب اسم عميلة المخابرات المركزية ، قال إنه كان منشغلًا جداً في
عام 2003 بالعمل في إعداد كتابه " خطة الهجوم " ويحاول استكشاف
"مادة مهمة عن سلام دانك! " و قال إن سلام دانك كانت الأساس
الذي بنى عليه بوش وبطريقة لا تصدق قراره الحاسم هو وزارة حربه
وبناء عليه قمنا بغزو العراق!
ولدي تعقيب من كلمتين على كلام وودورد هذ ..الكلمة الأولى هي
"Bull....."
!!

التحضيرات الأخيرة لمسرحية كولن باول على خشبة الأمم المتحدة

آخر شيء كان من الممكن أن أتصوره في حياتي هو أن أكون عضواً في كورس يوناني . هناك وجدت نفسي كذلك .. على شاشة التيلفزيون الدولي (الأمم المتحدة) سنيد " يجلس على مقعد ، خلف كولين باول وهو يتحدث أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة في الخامس من شباط عام

2003. نعم لم أكن أعرف أن باول عندما سيستعرض ما جمعناه من معلومات كنا نعتقد أنها نعرفها عن أسلحة دمار صدام .. لم أكن أعرف أن ما جمعناه سيتحول فيما بعد إلى كارثة.

وقد كان خطاب باول النهاية لعدة شهور من التخطيط ، والتقديرات والمفاوضات . وكان التركيز على نقطة مهمة مفادها أنه لو أرادت الولايات المتحدة وحلفاؤها كسب التأييد الدولي لغزو العراق ، فلا بد من خلق نقاش هائل يؤدي إلى تحويل الشكوك إلى " تحالف للإرادة " ، وبناء عليه أعددت الإدارة عرض باول وهي تعرف لمن سيوجه والأهم ما الذي ينبغي قوله . ففي يوم السبت التالي مباشرة لأعياد الكريسماس عام 2002 كان جون ماكلوكلين وبوب وولبول يحضران اجتماعاً آخر في البيت الأبيض . وكان هدف الاجتماع هو محاولة إدخال بعض التحسينات على العرض غير المرضي الذي قدمناه وتفوهت فيه بعبارة " سلام دانك " . واقتراح ممثلو مجلس الأمن القومي الأمريكي تعزيز المعلومات لتسير في طريق حسم الجدل السائد بين أوساط الأميركيين حول أسلحة صدام ، ليكون في خانة الإدانة ، وبالتالي الفوز بتأييدهم للإطاحة بصدام . وحدث أن طلبت كوندوليزا رايس من ويلبول تلخيص التقديرات الخاصة باستنتاجاتنا النهائية في هذه القضية ، فراح يتحدث عن " تقييماتنا " ، و " استنتاجاتنا " وبنفس اللغة التي كتبنا بها وثيقة عرضنا السابق . "انتظر لحظة .." هكذا قاطعت كوندي وولبول .. ثم بادرته بالسؤال : بوب إذا كنت ما تقوله هو " تقييمات " ، فنحن في حاجة لأن نعرف هذا الآن .. نحن لا نستطيع أن نرسل القوات إلى الحرب بناء على تقييمات .." هذه هي الكلمة التي استخدمتها

كوندي "تقييمات .." ورد وولبول قائلاً وبهدوء "تقديرات المخابرات القومية نفسها عبارة عن تقييمات أحكام واستنتاجات مستنبطه من التحليلات

"وقال ان الوكالات المخابراتية لديها درجات لتقييم مدى الثقة في كل معلومة فهناك "الثقة العالية" و "الثقة المتوسطة" و "الثقة المنخفضة" ، ولكن لا بد وأن يكون هناك سبب في كلمة تقدير التي توضع كعنوان على كل وثيقة. وسألته كوندي عما يعنيه بمستويات الثقة . فقال وولبول " : علي سبيل المثال التحليلات الخاصة بحيازة صدام لأسلحة كيماوية كتب عليها "ثقة عالية" ، فسألته كوندي : وما هي الثقة العالية 90% مثلاً ". ورد بوب وولبول : نعم تقريباً هذا هو ." فقالت كوندي : هذا أقل بكثير مما نريده في عرضنا القضية على الشعب.

والحقيقة أننا قد تكون تقديرات أجهزة المخابرات القومية قد تجاوزت في تقييماتها وتحليلاتها للرئيس حول بعض المسائل ، ولكن كما دائماً نؤكد أنها ما نعتقد في صحته وفي حينه . وقد أكد وولبول في بيانه أمام رئيس علي امتلاك صدام لصواريخ بعيدة المدى ، ولكنه أكد أن أضعف حالة هنا هي أسلحة صدام النووية حيث لا يوجد ما يجعل وجودها مؤكداً ، وقال إن مستوى الثقة في احتمال وجودها لدى صدام "متوسط ." أما ماكلوكلين فقد روى لي ما قاله في الاجتماع وبصراحة من أنا في CIA مطلوب منا المطالبة بالذهاب إلى الحرب على العراق في الوقت الذي لم ننته فيه بعد من الحرب على الإرهاب ، تلك القضية التي غمسنا فيها كل أيدينا .

وفي السادس من شهر كانون الثاني عام 2003 حضرت اجتماعاً آخر مع كوندي أنا وماكلوكلين ، وولبول وستيف هادلي . وقد ذكر هادلي أن عرض المخابرات المركزية لقضية أسلحة الدمار الشامل ضعيف فرد وولبول إن العرض ضعيف لأن القضية ضعيفة . وفي 24 كانون الثاني 2003، طلب هادلي من وولبول في اجتماع آخر تزويده بمعلومات حول ما يحتاجه صدام لإنتاج سلاح نووي ، فرد وولبول بأن هذه المعلومات موجودة في تقديرات المخابرات القومية التي تم تقديمها قبل ثلاثة أشهر . فرد هادلي قائلاً : إن تقديرات الاستخبارات 90 صفحة .. هل استخرجت لي هذه المعلومات على حدة في تقرير منفصل . وقد بعث

وللبلول عن طريق الفاكس 24 صفحة خاصة ببيورانيوم النيجر التي وردت في التقديرات ، بالإضافة لطموحات صدام النووية ، التي ضمنها الرئيس بوش خطابه عن حالة الاتحاد

بعد أيام قليلة من إرسالها . ولم يتوقف الحد عند تجاهل هادلي ورئيس الكثير مما قنأه أو ضمناه في تقديراتنا ، بل كانت هناك ستة عشرة كلمة ستعود فيما بعد لتضررنا [إيضاح من المترجم في 28 نيسان الماضي دعا رئيس لجنة تحقيق في مجلس النواب الأمريكي جورج تينيت المدير السابق لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية ومؤلف هذا الكتاب ، ، بعد تسريب مقتطفات هذا الجزء من كتابه ، قبل صدوره بيومين ، للإدلاء بشهادته بشأن ادعاءات قبل الحرب بأن العراق كان يسعى للحصول على أسلحة دمار شامل . ودعا الديمقراطي هنري واكسمان رئيس لجنة الرقابة والصلاح الحكومي بمجلس النواب تينيت للإدلاء بشهادته لمعرفة وجهات نظره بشأن أحد الادعاءات التي استغلت لتبرير الحرب على العراق وهي التأكيد بأن العراق سعى لاستيراد يورانيوم من النيجر وهو أحد المبررات الرئيسية التي استخدمتها الادارة الأمريكية للغزو الذي قادته في آذار 2003 ضد العراق].

ففي نهاية شهر تموز تم تكليف باول بعرض مبررات الحرب في الأمم المتحدة . وكانت مهمته التي تم انتدابه من أجلها هي إطلاع العالم على : لماذا ينفذ الوقت من العراق . وقد حثت كوندوليزا رايس وكارين هوف باول على أن يتحدث أمام المنظمة الدولية ثلاثة أيام متالية . وكانت وجهاً نظراًهما هي أن يتحدث في اليوم الأول عن العراق والإرهاب . وفي اليوم التالي عن العراق وحقوق الإنسان . ثم ينهي في اليوم الثالث عرضه بخطاب مطول بالحديث عن العراق وأسلحة الدمار الشامل . وقد تجاهل باول بحكمة هذه الملاحظة ، ولكن كان من الواضح للجميع أن الخطاب سيكون على درجة غير عادية من الأهمية . وكان باول قد طلب الحضور هو وعد من كتاب خطاباته وكلماته ، وكبار مساعديه ، إلى مقر وكالتنا CIA لكي يعمل عندنا في إعداد الخطاب المهم ، وضمان أن يخرج متاماً قدر الإمكان . ورغم أنه لم يقل هذا صراحة ، إلا أنني اعتقد أن هذا كان أحد أسباب حرصه للمجيء إلى وكالتنا لإعداد خطابه ، مدفوعاً أيضاً بشعوره بأن مقر وكالتنا محمي جيداً من الدخلاء ، ويمكنه فيه إعداد خطابه في أمان . وقد كان مجيء

باول لكتابه خطابه عندنا بالوكالة أمراً جديداً علينا . وحري بي القول بأننا كان لدينا خياران غير مرغوب في كليهما : فاما أن ندع الإدارة تكتب نص خطابها للعالم بنفسها وجعلها تتصرف وفق ما يرווق لها في المعلومات المخابراتية التي نقدمها ، أو أن ننهض للمساعدة في إعداد الخطاب . وقد اخترنا الخيار الأخير.

فوجئنا بكون باول في CIA لإعداد خطاب الحرب ومعه المسودة التي أعدها ليبي ومساعد ديك تشيني وكلها معلومات مغلوطة!! وكنا نعتقد أن باول سيستخدم في خطابه ما قدمه ماكلوكلين في عرضه في اجتماع الـ " سلام دانك " وكذلك ما بعث به وولبول عن طريق الفاكس إلى كوندوليزا رايس مستشارة الأمن القومي الأمريكي بناء على طلبها قبل أسبوعين والذي كان يقوم على أساس ما جاء في تقديرات الاستخبارات

القومية . ولكن عندما وصل باول وفريقه إلى وكالتنا أول مرة كانوا يحملون في أيديهم وثيقة من 59 صفحة خاصة بأسلحة الدمار الشامل افترضوا أننا نسلم بمجاءء فيها . وقد افترض باول أن البيت الأبيض قد قام بإعداد الوثيقة بالتنسيق مع المجتمع المخابراتي . ولكن ما أعطاه البيت الأبيض إياه كان شيئاً مختلفاً ، شيئاً لم نره من قبل ، ولم نكشف عنه في تقاريرنا . وظل فريق باول يسألنا رأينا فيما ورد بوثيقة البيت الأبيض . ووجد فريقهم يكررون نفس الرد على أسئلتهم " : نحن لا نعرف شيئاً مما تتحدثون عنه ." وقد أبلغني باول – فيما بعد – أنه التقى سكوتر ليبي في إحدى المرات وسأله عن الوثيقة قائلاً : ما الذي جعلكم تفكرون في إعطائي مسودة خطاب بهذه ؟ .. فما كان من ليبي – كما عرفنا - إلا أن رمقه بنظرة لسان حالها يقول " يالك من أحمق ... " وقال " : لقد كتبتها بنفسي كمحام يقدم مرافعة ." وقال باول أن الوثيقة هي فعلاً مرافعة لمحام ، وليس نتاج لتحليلات ." وقد اكتشف فريق باول الذي يعمل معه في إعداد الخطاب أن جون هنا من مكتب ديك تشيني نائب بوش قد تدخل أيضاً في كتابة مسودة خطاب باول أو الوثيقة التي تلقاها من البيت الأبيض عن أسلحة الدمار الشامل العراقية . ولذلك ، وعلى الرغم من رغبتهما في تحصين المعلومات الواردة في وثيقة مسودة الخطاب ، إلا أنهم أضطروا أولاً إلى أن يطلبوا من هنا المجيء إلى CIA لبيان أصل المعلومات الواردة في مسودة الخطاب .

وجاء " هنا " ومعه أكواام من المعلومات الخام ، لم تخضع لأية تحليلات ، وكلما سُؤل عن أصل شيء ورد بالمسودة قدم معلومات تبررها ، للأسف تم التيقن من قبل من عدم صحتها. وأستطيع القول إن كل ما قدمه " هنا " كان عبارة عن معلومات مغلوطة . وفي النهاية ، وبمراجعة سطر تلو آخر ألقى باول بالمسودة جانباً . وهذا سأله " هنا " مايك موريل الذي كان مسؤولاً عن مطابقة ما ورد بمسودة الخطاب مع معلومات CIA لماذا لم تضعوا يورانيوم النيجر في مسودة عرضكم الأخيرة حول أسلحة صدام. فرد مايك بقوله : لأننا لا نعتقد في صحتها .، فرد هنا : أعتقد أنكم تعتقدون ذلك .. وبعد جدل عقيم وضياع الوقت في شرح شكوكنا في قضية يورانيوم النيجر ، أدرك " هنا " لماذا نعتقد أنه ليس بالعمل الصائب إدراج يورانيوم النيجر في خطاب باول أمام الأمم المتحدة.

والحقيقة ، قد كنا نحاول أثناء وجود باول عندنا تنقية الخطاب من أية معلومات غير صحيحة لن يكتب لها الصمود. وكان من المفترض كما تريـد إدارة بوش أن يتركز خطاب باول بأكمله تقريباً على برامج أسلحة الدمار الشامل العراقية الموجودة في " الصناديق " ، ويمكن لصدام الذي يتـجاهـل على الدوام العقوبات الدولية استخدامها ، كما عبر باول عنها في أحد مواضع خطابـه. وكان من الواضح أن البيت الأبيض كان يريد أن يتضمن خطابـ باول إلى جانب أسلحة دـمار صـدام ، وعلى نحو خاص مواداً حول علاقـته بالإـرـهـاب . وبالإضافة إلى مقطـعـهمـ الخاصـ بـأسلـحةـ الدـمارـ الشـاملـ ، فقد زـودـ سـكـوتـرـ لـيبـيـ باـولـ بـوثـيقـةـ مجـهـولةـ المصـدرـ تحـمـلـ عنـوانـ " الدـعمـ العـراـقيـ الخـطـيرـ لـالـقـاعـدةـ"ـ إـيـ استـبعـدهـ باـولـ عـلـىـ الفـورـ . وقد حـاـولـ تـشـيـنيـ وـرـايـسـ وـلـيـبيـ وـهـادـليـ مـرارـاًـ وـتـكرـارـاًـ فـرـضـ ماـ يـرـدـيـدونـهـ فيـ عـلـاقـةـ صـدامـ بـالـقـاعـدةـ عـلـىـ باـولـ . وفيـ النـهاـيـةـ إـنـتـحـيـتـ جـانـبـاـ بـفـيـلـ موـودـ الـذـيـ كـانـ يـشـغـلـ –ـ وـقـدـاكـ –ـ مـنـصـبـ نـائـبـ رـئـيـسـ مـرـكـزـ مـكـافـحةـ الإـرـهـابـ التـابـعـ لـ CIAـ ،ـ وـطلـبـتـ مـنـهـ كـتـابـةـ الـجزـءـ الـخـاصـ بـالـإـرـهـابـ بـنـفـسـهـ .ـ وـقـلتـ لـهـ:ـ هـذـهـ الـأـمـورـ الغـرـيـبـةـ الـتـيـ تـجـريـ أـمـامـنـاـ تـفـتـحـ بـوـابـاتـ الجـحـيمـ عـلـىـ مـصـرـاعـيـهاـ ..ـ إـنـهـ الجـحـيمـ بـعـيـنهـ ..ـ وـإـنـهـ لـمـنـ غـيرـ الصـوابـ بـالـنـسـبةـ لـنـاـ آـنـ نـكـتبـ خـطـابـاـ لـصـانـعـيـ السـيـاسـةـ وـلـكـنـ "ـ لـوـلـمـ نـفـعـلـ فـإـنـ الـبـيـتـ الـأـبـيـضـ سـيـضـعـ بـعـضـ الـهـرـاءـ الـذـيـ لـاـ نـرـغـبـهـ هـنـاـ وـالـذـيـ لـنـ يـكـونـ بـمـقـدـورـنـاـ اـنـتـرـاعـهـ مـنـ الـخـطـابـ."ـ وـبـالـفـعـلـ كـتـبـ موـودـ

الجزء الخاص بالإرهاب في الخطاب ، وقام ب مهمته هذه على أفضل ما يكون. ورغم بعض المشكلات التي قابلناها لتمرير ما كتبه رئيس مركز وكالتي لمكافحة الإرهاب ، إلا أن هذا الجزء بالتحديد كتب له الصمود أكثر من الجزء الأكبر من خطاب باول الخاص ب " العراق وأسلحة الدمار الشامل ". ثم ذهب أنا ومساعدي مع باول وفريقه إلى نيويورك يوم 4 شباط حيث كان ينعقد ويراجع محتوى

خطابه المقرر أن يلقى في اليوم التالي. وهناك تعطل جهاز الفاكس المخصص لإرسال واستقبال معلومات سرية ، وقد كافحنا حتى نحصل على معلومات اللحظة الأخيرة من واشنطن ومن أفراد باول في المدينة . و كنت قد أمضيت الليلة السابقة مستيقظاً حتى الساعة الثانية والنصف أي حتى الصباح

، أعكف على مراجعة الجزء الخاص بالإرهاب في الخطاب. وفي النهاية ورغم أننا جميعاً كان بمقدورنا أن نوافق على النص الخاص به وكنا مقتنيين بأن نتاج عملنا كان متماسكاً وصلباً. ولو كان لباول أية تحفظات على إلقاء الخطاب لما كان قد أبلغني ، ولكنه وب مجرد أن وافق على الاضطلاع بهذه المهمة فإنه كان بسبيله لتقديم أفضل ما لديه . وقد طلب مني باول أن اتخذ مقعدي خلفه في الأمم المتحدة أثناء إلقاء خطابه . و كان هذا هو آخر مكان أريد أن أتواجد فيه . وكان مقرراً أن أقوم بجولة في الشرق الأوسط في ذلك الوقت . ولكن باول ومساعده ريتشارد آرميتاج كانوا من أقرب أفراد الإدارة إلى نفسي وإذا أراد باول أن أكون هناك فسوف أكون هناك ، حتى ولو كان وجودي يبدو غريباً بعض الشيء بالنسبة لمدير CIA.

لقد كانت توجهي نحو الأمم المتحدة صبيحة يوم 5 شباط لحظة سريالية في حياتي . المهم أنني جلست خلف كولن باول بجوار جون نجروبونتي الذي كان في ذلك الوقت سفيرنا لدى المنظمة الدولية ، وبعد أن انتهى باول من خطابه الذي اعتقاد أن أداؤه فيه كان استثنائياً ، وبدأ باقي أعضاء المجلس في إلقاء كلماتهم ، تركت القاعة وأنا مجهد عقلياً ونفسياً . لقد كان عرضاً عظيماً ، ولكن للأسف جوهره غير متماسك . وكانت الركائز الأساسية المختلفة للخطاب ، وخاصة فيما يتعلق ببرامج أسلحة العراق الكيمائية والبيولوجية بدأت في التداعي واحدة تلو الأخرى . وبالتالي فقد تم تعليق وزير الخارجية من رقبته أمام العالم ،

كما ترددت مصداقية أمتنا إلى الحضيض. ليس فقط إذوبة يورانيوم النيجر و أنابيب الألمنيوم بل وحتى معامل أسلحة صدام البيولوجية المتنقلة قد كانت إذوبة أيضاً .

إذوبة المختبرات المتنقلة

بعد أن فضح تينيت في الحلقة الماضية " قضية يورانيوم التيجر " إحدى مركبات إدارة بوش الرئيسة لشن الحرب على العراق ، والتي ضمنتها خطاب وزير الخارجية كولن باول الكارثي أمام الأمم المتحدة ،

يستمر

تينيت في فضح المزيد من مركبات الخطاب حول " مبررات الحرب " وفي هذا الجزء يتناول القصة الحقيقة لعميل المخابرات الألمانية مهندس

الكيماويات العراقي كورف بول " اسمه الحركي " التي لطالما سغلت الأميركيين والعالم لارتباطها بأذوبة " معامل أسلحة صدام البيولوجية المتنقلة " ، التي عرضها باول بالصور ، والتي لطالما استشهد بها الرئيس بوش وكبار مسئولييه لتبرير الحرب ..ويؤكد تينيت أن وكالته ومعها استخبارات وزارة الدفاع توصلوا إلى أن هذه المعامل يمكن أن تكون موجودة ، وتلقوا بعض صور لها ، ولكنهم قرروا مواصلة التحقيق من صحتها وكانت إدارة بوش قد علمت من أحد ضباط CIA أنه اكتشف أنها مفركة

فطلبت منه إخفاء الأمر علي رئيسه تينيت حتى يوافق علي إدراجها في خطاب باول ..وعندما اكتشف أمرها علقوا الحبل في رقبته هو، وجعلوا ضابطه الخائن يشهد ضده بأنه أبلغه ورغم ذلك لم يحضر باول.

تبدأ القصة في عام 1998 ، عندما استطاع مهندس كيميائي عراقي أن ينسن إلى معسكر لاجئين ألمانيي .وخلال عام أو ما يقرب من العام استطاع الحصول على حق الهجرة لألمانيا ، والموافقة على التعاون مع وكالة المخابرات الفيدرالية الألمانية " بي آن .دي " وتزويدها بمعلومات .وقد أعطي الألمان هذا العميل العراقي اسمًا رمزيًا هو " كورف بول ."وكما تفعل أجهزة المخابرات في شتى أنحاء العالم مع جواسيسها ، فقد أبكت المخابرات الألمانية علي شخصية مهندسها العراقي طي الكتمان ، ولكنها كانت تتقاسم مع وكالتنا CIA ، من وقت آخر، ما تحصل عليه منه من معلومات.

وقد زعم بول أن العلماء العراقيين لديهم برنامج أسلحة بيولوجية ، وأن لديهم معامل أسلحة بيولوجية متنقلة " مختبرات مواد جرثومية" يمكن تحريكها بحيث تكون دائمًا بعيدة عن أعين مفتشي الأمم المتحدة. ولأن المخابرات الألمانية كانت تحفظ بشخصية مصدرها ، ولأن مخابرات وزارة الدفاع الأمريكية " دى .آي .إيه " ، ووكالة المخابرات المركزية الأمريكية " سي .آي .إيه " كانتا مسئولتين عن التجسس على العراقيين في معسكر اللاجئين في ألمانيا ، فقد رفضت السلطات الألمانية بغرابة - أي اتصال مباشر ، بالمصدر العراقي كورف بول من جانب " سي .آي .إيه " و "دى .إن آيه." هكذا استغل بوش وصقره قصة " كورف بول.." من وراء ظهرى ثم اتهموني بعد الكارثة بأنني لم أنبه لهم !! وقالوا لنا إنه لا يتحدث الإنجليزية ، وأنه يكره الأميركيين (وقد عرفنا فيما بعد أن إنجليزيته جيدة) .وحدث أن واتتنا الفرصة لرصده من خلال طبيب يتحدث الإنجليزية ، كان يعالجه في معسكر اللاجئين. وقد أبلغنا هذا الطبيب أن المهندس العراقي بدا مشوشًا وعبر الطبيب عن شكوكه في إمكانية الاعتماد على ما يقوله .ولكن ومع ميلي لتصديق الطبيب إلا أن المخابرات لو ألتقت كل معلومة

ل مجرد تشكيك أحد فيها ، فسوف نلقي بكل ما يأتينا من الشباك. وقد علمت أن هناك مناقشات جارية بين محللين وجامعي المعلومات لدينا حول هذه القضية .وعلمت أن بعض جامعي المعلومات في إدارة العمليات لدينا لا يحبون الطريقة التي تسير عليها هذه القضية ، وأعربوا عن إحساسهم الغريزي بأن " فيه حاجة غلط بالنسبة لهذا المدعوكورف بول ." أما محللونا فكانوا يشعرون بأن ما كشف عنه كورف بول دقيق وصحيح لدرجة لا يجب معها استبعاده. فمما قاله يتتأكد أنه فعلًا رأى معمل الأسلحة البيولوجية المتنقلة لأنه وصفها بدقة ، وأن كلامه مهم نظرًا لتصعيد فرق التفتيش الدولية - في ذلك الوقت - لبحثها في العراق عن أسلحة الدمار الشامل.

ولكن بتقييم ما لدينا من معلومات ، وفي غياب أية إشارات حمراء تؤكد صدق ما قاله بول وخاصة من جانب استخبارات وزارة الدفاع الأمريكية ، بدا لنا في النهاية هذا المهندس العراقي وما كشف عنه غير ذي قيمة. ولكن لجنة " سيلبرمان - روب " الرئاسية التي شكلها الرئيس بوش للتحقيق في تقارير المخابرات التي صدرت قبل حرب العراق بشأن

برامج الأسلحة العراقية ، قالت في تقريرها الصادر في شهر آذار عام 2005 ، أنه كان يتعين علينا أن نعلن هذا بأعلى صوتنا ، بغض النظر عن نتيجة

مناقشاتنا ، حتى لا تدرج إدارة بوش هذه المعامل الجرثومية المتنقلة في خطاب باول في مبررات حربها على العراق ، وأن لا يكتفى باستبعادها من حسابات CIA .[إيضاً من المترجم: سميت بلجنة " سيلبرمان - روب " نسبة إلى لورانس سيلبرمان القاضي في محكمة الاستئناف ، وتشارلز روب الحاكم السابق لولاية فيرجينيا والعضو في مجلس الشيوخ والذين كانوا يرأساً هذه اللجنة التي كانت مهمتها الكشف عما إذا كان هناك دليل على شبهة تلاعب مسؤولي البيت الأبيض أو وزارة الدفاع في المعلومات المقدمة بشأن العراق لأغراض سياسية أو تبرير الحرب.]

والسؤال الآن هو :إذا كنت تطلب تقاريرنا ، وتقول إنك تعتمد عليها ، فلماذا تضمن مبررات حربك دليلاً خطيراً لم درجه في تقاريرنا ، ولم تعد إلينا لتأكيده من عدمه ، وفي النهاية نلام نحن عما لم نقله ، ثم نلام لأننا لم نقل أنه ليس لدينا شيء مؤكد في موضوع ، لم تطرحه علينا أصلاً .؟! وأعود إلى قصة كورف بول .. فقد أصدر جيم بافيت نائب مدير العمليات ورئيس الخدمة السرية بوكالتي تعليماته إلى تيلر دريمهير رئيس القسم الأوروبي لكي يبحث عن ضابط من CIA ليلتقي بالمهندس العراقي وجهاً لوجه .وفي شهر أيلول أو أوائل شهر تشرين الأول، التقى دريمهير مع

نظيره الألماني علي الغداء في أحد مطاعم واشنطن لتمرير طلب مقابلة المهندس العراقي ، من خاله ، ولكنه أبلغنا أن الضابط الألماني رفض أن يتحدث مطلقاً في الموضوع . والآن يأتي دريمهير ليقول أمام لجنة " سيلبرمان - روب " إن الضابط الألماني قال له في تلك مقابلة " : انت لا تريدون مقابلة كورف بول لأنه مجنون ..والحديث معه سيكون مضيعة للوقت ."

واستمر الألماني في القول بأنهم لا يعرفون ما إذا كان كورف بول يقول الحقيقة أم لا ، لأن هناك شكوكاً كبيرة في سلامة قواه العقلية ومن ثم ضمان صحة ما يقوله ..هذا ما قاله لنا دريمهير . ويأتيانا دريمهير الآن ليقول لنا أيضاً إن ضابط المخابرات الألماني أبلغه في مقابلة أن بول

ربما يعاني من انهيار عصبي ، قبل أن يقول إن هذا العراقي يمكن أن يكون قد فُبرِك ما كشف عنه من معلومات حول معامل أسلحة صدام البيولوجية المتنقلة ، وأننا لم نبلغ أحداً بذلك ، وتركتنا باول يقدم القصة كدليل على امتلاك صدام لبرامج أسلحة دمار شامل ، وكمبرر للحرب في خطابه أمام الأمم المتحدة!!

لقد جعلوا أحد ضباطي يخفي معلومات عنِّي تنتفي وجود معامل أسلحة صدام البيولوجية المتنقلة وجعلوه يتهمني بأنني علمت ولم أنبه باول!! وحسب وصف دريمهير فقد كان الضابط الألماني حذره من أن المخابرات الألمانية ستنتفي رسمياً وعلانية كل ما كشفت عنه للأمريكيين بخصوص كورف باول إذا ما تعرضت لضغوط أمريكية لأنها لا تريد وضع نفسها موضع الحرج. ولو كان هذا صحيحاً ، ولو كان دريمهير قد أبلغنا بهذا ، فقد كان الأمر سيسير على النحو التالي: كنا في CIA سنعتبر ما جرى في هذا الغداء أمراً يثير الريبة والشك ، وكنا سنعتبر كورف باول مشكلة لابد من التعامل معها بجدية رسمياً وفي العلن . وكنا سند تقريراً رسمياً نرفعه

لمحللي الوكالة والمجتمع المخابراتي في الولايات المتحدة وكذلك صانعي السياسة في الإدارة الأمريكية الذين أبلغناهم من قبل عن حكاية كورف باول . وكان إرسال مثل هذين التقريرين من شأنه أن ينبه الخبراء على الفور . ولكن لم يتم عمل هذين التقريرين ولم يأت أحد بهذه المعلومات إلى مكتبي ، وإنما كانت قد أثارت انتباهي واهتمامي . ومما يؤكد كلامي أن كبيرة محللين في CIA المختصة بهذه القضية بحكم مسؤوليتها عن مركز استخبارات الأسلحة ومنع الانتشار النووي تصر على أن أحداً لم يبلغها شيئاً عن ذلك الاجتماع!! ومع ذلك فقد أصر دريمهير في شهادته أمام لجنة سلبرمان - روب ، وفي مقابلات صحافية وتليفزيونية لاحقة على إعلان تقرير اللجنة النهائي في أوائل شهر نيسان عام 2005 أصر على أن أخبار اجتماع غداء الضابط الألماني أنه أبلغنا بها ، وأن أخبار الاجتماع هذه كان لها وقع القبلة علينا في CIA وقد حجب دريمهير عنِّي رسالة من مدير المخابرات الألمانية يقول لي فيها إن العراقي مصدر المعلومات مشوش ومجنون ولا يعتمد عليه . وحجب عنِّي أيضاً برقية من رجلنا في ألمانيا يبلغنا فيها مدير المخابرات

الألمانية بأن بإمكاننا الكشف عن حكاية العميل العراقي المزعومة. لكن في 27 كانون الثاني عام 2003 ، قبل خطاب باول مباشرة ، بعث رجلنا في المانيا برقية أخرى يؤكد فيها تحفظاته على المصدر العراقي ، وأنه بعث

بالبرقية لأنه لم يتلق ردًا على برقته التي بعث بها في 20 كانون الاول . والحقيقة أن تقرير كورف بول كان مثيراً للمشاكل كما قال وأنه لا ينبغي أن يعتد به ، إلا بعد أن يخضع لاختبارات جادة .. وهذه البرقية أيضاً ذهبت إلى دريمهлер . وعلى مدى ثلاثة أيام أمضيناها في CIA نراجع مسودة الخطاب مع باول وفريقه لم يقل لنا أحد شيئاً عن تحفظات رجلنا في المانيا ، أو الرسالة التي بعث بها مدير المخابرات الألمانية. وفي النهاية ، وبعد أن شعر رجلنا في المانيا باليأس والإحباط بسبب عدم ردهنا عليه ، قام يوم 5 شباط عام 2003 ، بإرسال النسخة الأصلية لرسالة مدير المخابرات الألمانية مع ترجمة لها بالإنجليزية إلى مقر الوكالة عن طريق الحقيبة الدبلوماسية ، وقد وصلت هذه الرسالة يوم 26 شباط وتم تسليمها لإدارة القسم الأوروبي التي يرأسها دريمهлер . وقد أمر خليفتي بورتر جوس الذي

تولى منصب مدير CIA بعدي ضباطه بمراجعة قصة كورف بول ، ليكتشفوا في عام 2005 أن رسالة في القسم الأوروبي لم يشر إليها في سجل الوارد ، وبعد عملية بحث شاقة اكتشفوا أنه ليس هناك ما يدل على أن هذه الرسالة قد أرسلت إلى أولي نائبـي جون ماكلوكلين. والحقيقة أنني لم أكن أتصور أبداً أن أحداً من ضباطي في CIA يمكن أن يحب عنـي أية برقـيات ، أو رسائل في أي موضوع أو قضـية تتعلق بالعراق ، التي كانت محور اهـتمام الجميع ، هذا قضـية كورف بول . وما حدث لا يزال بالنسبة لي لغزاً مبـهمـاً

[إيـضـاحـ منـ المـتـرـجمـ : من الواضح أن تـينـيت لا يـريـد اـتهمـ الرـئـيسـ بوـشـ أوـ الـبـيـتـ الـأـبـيـضـ اـتهمـاًـ صـرـيحـاًـ وـبـذـكرـ الـأـسـماءـ بـالـاتـفاـقـ معـ نـائـبـهـ تـشـينـيـ وـبـاقـيـ صـقـورـهـ بـاخـتـرـاقـ وكـالـةـ مـخـابـرـاتـهـ وـتـجـنـيدـ بـعـضـ ضـبـاطـهـ لـلـعـملـ لـحـاسـبـهـمـ] وـمعـ ذـلـكـ ، فـقـدـ حدـثـ أـنـ أـصـدـرـنـاـ نـحنـ CIAـ بـالـاشـتـراكـ معـ وكـالـةـ مـخـابـرـاتـ وزـارـةـ الدـفـاعـ "ـدـيـ إنـ إـيهـ"ـ تـقـرـيرـاـ فيـ مـاـيـسـ عـامـ 2003ـ ، بـعـدـ اـكـتـشـافـ شـاحـنـةـ فـيـ عـرـاقـ شـبـيـهـةـ إـلـىـ درـجـةـ كـبـيرـةـ بـالـعـامـ المـتـنـقـلـةـ التـيـ ذـكـرـهـاـ كـورـفـ بـولـ . وـعـدـنـاـ إـلـىـ الـأـلـمـانـ مـرـةـ أـخـرـيـ عـبـرـ إـدـارـةـ

دريمهار، ليطلعوا بول عليها بين مجموعة من الصور ، فتعرف عليها ، ولم يقل لي أحد أبداً لا أنا ولا نائب ماكلوكين " : توقف ... هذه صور مفبركة ورواية مفبركة لا يمكن الاعتماد عليها! "

والغريب أن دريمهار جاء بعد ذلك ، وقال أمام لجنة " سلبرمان - روب "ثم الصحف أنه اتصل بي منتصف ليلة إلقاء باول خطابه في الأمم المتحدة ليبلغني بأن قصة كورف بول غير صحيحة ومفبركة ، وأن يحذفها باول من خطابه . وأنني أجبته بعبارة " لا تقلق لقد تأكدنا من القصة!! " ومع ذلك ، فأنا أؤكد أنني لم أتلق على الإطلاق مكالمة نصف الليل هذه ..لقد تحدثت أنا ودريمهار في وقت مبكر من مساء ذلك اليوم ولكننا لم ننطرق أبداً إلى الحديث عن كورف بول ، ولم يكن بها شيئاً مهماً سوى طلب الاتصال بالبريطانيين لكي يسمحوا لنا باستخدام بعض تقاريرهم الاستخباراتية

في خطاب باول!! ورغم أن مكالمة كذلك التي يدعى دريمهار أنه أجراها معه لا بد وأن تكون مسجلة كقاعدة مطبقة ، ومعروفة ، إلا أنه عندما سُئل من جانب أعضاء لجنة استخبارات مجلس الشيوخ في عام 2005 عما إذا كان بمقدوره إثبات أنه أجراها ، رد بقوله " لا . ليس بمقدوري !! " لقد كان لدى دريمهار عشرات الفرص قبل وبعد خطاب باول ليبلغني بما يدعى أنه أبلغني به ، ولكنه إلى يومنا هذا لم يفعل!! وعندما قلت مفكري خلال الفترة التي ما بين خطاب باول في 5 شباط 2003 ، واستقالتي منالوكالة في 11 تموز 2004، وجدت أن دريمهار قد حضر إلى في مكتبي وجلس معي 22 مرة ولم يعتقد أنه لا بد من إطلاعي على هذه المعلومات الخطيرة التي تتعلق بأحد الركائز أو الأعمدة الرئيسية في قضية أسلحة صدام.

نشاط CIA داخل العراق و قصف الدورة

غالباً ما ينتظر العالم طويلاً لحظة الكشف عن أسرار اللحظات الأخيرة التي تسبق أي حرب من شأنها تغيير مجرى التاريخ ..ولأن حرب العراق كذلك ، لما لها من تداعيات على منطقة بحجم وأهمية الشرق الأوسط ، فقد كان لهذا الجزء من كتاب تينيت قيمة بالغة ، لا سيما وأنه ليس بصحافي يروي ما نقلته له مصادره ، أو باحث قلب في الأوراق كي يصل لمبتغاه ، وإنما هو شاهد عيان ، وعضو مشارك ، ورجل قدر له أن يكون المسؤول الأول عن مخابرات بلاده ، في لحظة فارقة من تاريخها ، لا تزال تدفع ثمن اندفاعاتها فيها إلى حرب غير عادلة ، وغير مبررة ، ستظل وصمة عار عليها ماة بقية على خريطة العالم.

وصل قطار الحرب على العراق إلى محطته في آذار 2003 وبالنسبة لـCIA فإن هذه الحرب كانت من كل الجوانب مختلفة عن الحرب ، التي خضنا غمارها في أفغانستان .فهناك كانت الوكالة بحسب لغة المصطلحات العسكرية القيادة " المدعومة - " الجهة التي تخوض الحرب ، أما في العراق فهي مجرد جهة " داعمة .." وشتان بين هذا وذاك.

في حالة غزو أفغانستان ، كانت الوكالة هي إلى حد كبير التي جاءت بخطبة الغزو .وقادت بصياغة وتنقيح وبلورة ووضع الاستراتيجية وصقلها على امتداد شهور طويلة ، سبقت أحداث الحادي عشر من أيلول ، على أمل الحصول على إذن بالانطلاق وراء القاعدة في معقلها. وبالاستعانت بأعداد محدودة من رجال القوات الخاصة والقوة الجوية الأمريكية قمنا بقيادة قوات العديد من أمراء الحرب وجماعات القبائل المعارضة للإطاحة بنظام طالبان. ولأن العراق مسألة مختلفة تماماً ، فقد أبلغت وكالي إدارة بوش - ومنذ البداية - بأن نموذجاً مختلفاً تماماً سيكون علينا تطبيقه فيما يتعلق بغزونا للعراق .وبعد وقت قصير من تسلم إدارة بوش مقاليد السلطة ، أكدنا لكتار مسؤوليتها ، وبصفة خاصة ديك تشيني نائب الرئيس ، على أنه ليس بمقدور أي عمليات سرية لـCIA الإطاحة بصدام حسين ..وأن هذا أمر أكيد. وقد وصلت الوكالة إلى هذه النتيجة من خلال تجربتها المؤلمة في

منتصف التسعينيات ، حيث لم تكلل أي محاولة في هذا الصدد بالنجاح في ضوء البطش الذي مارسه الرئيس العراقي آنذاك والأخطاء التي وقعت فيها الوكالة والتي أسفرت عن مصرع العشرات من لجأت إلى توظيفهم من العراقيين. وقد كان حجم عملياتنا السرية ضد صدام في الماضي على نفس الوتيرة سواء من حيث حجم التمويل ، أو المهامات العملياتية ، كما فعلنا ضد الروس في أفغانستان إبان الحرب الباردة. وقد حكم علينا بعض حلفائنا التقليديين في الشرق الأوسط بأننا لم نكن جادين في سعينا للإطاحة بصدام ، بالنظر إلى ضآلته تمويلنا لهذه القضية ، وكذلك عدم التزامنا بمساندة ودعم عملية سرية يتم تنفيذها بقوة عسكرية. وكانت دائمًا هناك فرصة لتدخل سلاح الجو الأميركي كي يلعب دوراً في إسقاط صدام متى طلبنا منه ذلك .ولكن في الممارسة العملية، بدت عملية الإطاحة بالنظام في بغداد صعبة للغاية وليس من المحتمل نجاحها. فما تعلمناه في أفغانستان هو النجاح المنشود يتحقق عندما يوكل إلى CIA القيام بدورها الخاص بالعمل السري في إطار خطة عسكرية أكبر وأشمل .وما كنا نريد أن نقوله للرئيس بوش في

تلك الفترة هو أن CIA لا يمكنها أن تذهب بمفردها لإسقاط صدام ، وأنه يتطلب استنفار كل وسائل القوة الأمريكية المتاحة لتحقيق مثل هذا الهدف. وقد يعتقد البعض أننا كنا نتهرب من الاضطلاع بهذه المهمة ، أو جعل الإطاحة بصدام تبدو عملية مستحيلة ، ولكن الحقيقة هي ببساطة كنا ننقل للرئيس ، الحقيقة التي تعلمناها من واقع خبرتنا التاريخية.

وخلالاً لما جرى في أفغانستان ، فقد اقتصر دور الوكالة في العراق على تقديم المعلومات للعسكريين ، حول مواضع تمركز القوات المعادية ، وقدراتها ، وتمهيد البيئة السياسية ، وتنسيق جهود الشبكات المحلية من المتعاونين ، الذين مهدوا الطريق للتقدم العسكري الأميركي ، وقاموا بعمليات

تخريب ، وما إلى ذلك ، وهو دور تقليدي تلعبه أجهزة المخابرات في مثل هذه المواقف ، لكنه لم يكن سهلاً ولا يسيرأ في أي من جوانبه. وكان أول إجراء قامت به الوكالة في شهر شباط عام 2002 هو استدعاء وإعادة توجيه فرق ضباط الاتصال التابعة ل CIA التي كانت قد اتخذت أماكنها التاريخية وسط الأكراد في شمال العراق. وبمجرد عودة هذه الفرق إلى العراق في شهر تموز ، بدأ ضباطها في القيام بجهود مضنية

لتجنيد عملاء ، وإقامة خلايا من رجال القبائل والأفراد العاديين المستعدين ليس فقط لجمع المعلومات ، ولكن أيضاً لحمل السلاح . وكنا نريد منهم القيام بأعمال عدائية لتحدي شرعية النظام قدر استطاعتهم . وتخريب السكك الحديدية ، وعرقلة وسائل الاتصال ، ومهاجمة مقار حزب البعث المحلية ، والقيام بكل هذه الأعمال بقوة السلاح لتفعيلها وتعظيم العائد منها.

وقد عملنا في الداخل العراقي فيما وراء المناطق الشمالية ، ووصلنا حتى حدود الدول المجاورة من الجنوب والشرق . وقدمنا للعسكريين الأمريكيين رؤية واضحة وشفافة للإتصالات التي كنا نجريها ، وتقديم القوات الأمريكية الخاصة لعملاء لنا داخل العراق الذين نأمل في قيامهم بتأمين عملية انشقاق عدد من وحدات وضباط الجيش العراقي وتمردهم على نظام صدام متى بدأت الحرب البرية ، بحيث تنضم إلينا هذه الوحدات المنشقة ، أو تسلم لنا . وفي النهاية كانت المحصلة هي انشقاق عدد قليل من الوحدات العراقية ولكن الأهم أن الكثير من وحدات الجيش صدام التي لم تشنق لم تحارب أيضاً . وقد كانت قوات جيش صدام النظامية تدرك أنها ستواجه الموت إذا ما تقدمت لمواجهة القوات الأمريكية ، وتدرك أيضاً أن قوات الحرس الجمهوري العراقي خلفهم وما لم يساندوا نظام صدام فسوف يقتلونهم . وقد اختارت الاستسلام على القتال بعد أن نقل عمالقنا رسالة تشجعهم على الاستسلام بدلاً من دفعنا لقتلهم . ولكن ظهرت مشكلة لم تكن في الحسبان ، وهي ماذا سنفعل بهذا العدد الهائل من الجنود الذين استسلموا ، والمفترض أن نعاملهم وفق اتفاقيات جنيف . وسبب المشكلة هي أن عدد الأسرى الهائل في حاجة لقوات أمريكية تفوق الأعداد الموجودة على أرض العراق . ونتيجة لهذا فقد تم إبلاغ جنود وضباط الجيش العراقي من خلال منشورات ألقتها الطائرات العسكرية الأمريكية ، أن ألقوا بأسلحتكم وعودوا لبيوتكم . وقد تلقى العراقيون الرسالة بترحاب بالغ ، ونفذوا ما دعتهم إليه عن طيب خاطر بمجرد أن سمعوا الطلقات الأولى لقواتنا .

فيما بعد وبالتحديد في 23 مارس 2003 ، عندما اراد الحاكم العسكري الأمريكي للعراق جيري بريرمر مواجهة الانتقادات الموجهة إليه وبريرر موقفه بتسریع الجيش العراقي رد بقوله إن الجيش حل نفسه بنفسه . وقد يكون بريرمر قد أصاب كبد الحقيقة ، ولكن الجيش

العربي قد حل نفسه ولكن مضطراً وبدرجة كبيرة بسبب الخوف من عواقب القتال ، مع الأخذ في الاعتبار أن عدداً كبيراً من الجنود قد احتفظوا بهم بأسلحتهم ، وهم يعودون لبيوتهم ، ولم يكن لديهم ما يساعدهم على إعالة عوائلهم.) و كنت قد قمت بعدة زيارات لضباط الـ CIA ، قبل الحرب ، في قواعدهم السرية المنتشرة في الصحراء شرق وجنوب العراق ، بعيدة عن الأعين ، وكان دورها هو تزويد الخلايا التي شكناها من رجال القبائل العراقيين بالسلاح لدخول المدن والقيام بعمليات استطلاع وتخرير ، قبل نقل حصيلة ما جمعوه من معلومات إلى قواتنا العسكرية. وكان هؤلاء الضباط الذين التقيت بهم يقيمون منذ أشهر في خيام للإعداد للحرب ، وكانوا يتربون بهذه الحرب بفارغ الصبر. وبعض هؤلاء الضباط كانوا من صغار السن ، ومعظمهم كان في أول مهمة خارجية له ، وبالنسبة لعدد كبير منهم كنت أول مدير مخابرات أمريكية يخدمون معه لحدثه عهدهم بالخدمة في CIA وقد حاولت في هذه الزيارة أن أرفع من معنوياتهم ، وأن أجعلهم يدركون كم أنا فخور بهم ، وواثق من قدرتهم على مواجهة التحدى . ولكني في قراره نفسي ، كنت أعرف أن عدداً كبيراً منهم قد يلقى حتفه بمجرد انطلاق الحرب .

وفي إحدى زيارتي للعراق سراً قبل الحرب التقيت في خيامنا الصحراوية مع مجموعة من العسكريين العراقيين في مقدمتهم اللواء محمد عبد الله الشهرواني قائد قوات صدام الخاصة أثناء الحرب العراقية الإيرانية . وكان قد تم تقديم الشهرواني لـ CIA في عام 1991 ، ليصبح بسرعة أكبر شركائنا العراقيين في سعينا للإطاحة بصدام. وكان الشهرواني ، الذي بدأ سجله العسكري طياراً حربياً ، نموذجاً للرجل الذي يعتمد عليه الأميركيون لا سيما وأنه يتمتع بالحظوظة والمكانة لدى العراقيين ، بعد ما أظهره من قدرات ومهارات في الحرب ضد إيران وقادته لطائرة مقاتلة وشن هجوماً ناجحاً ضد موقع إيراني محسن . وسرعان ما علا نجمه بذلك ، وتقلد علي أثره الأوسمة ، ثم أصبح قائداً لقوات صدام الخاصة . ومن هنا فقد استطاع هذا الرجل إقامة شبكة لنا من العملاء داخل العراق . ولكن في منتصف التسعينيات تم اكتشاف أمره ، على أيدي أجهزة الأمن العراقية ، فأمر صدام بإعدام ابنائه الثلاثة . واستمر الشهرواني رغم ذلك في التعاون معنا لإقامة شبكة لنا

من العلماء داخل العراق من مهامها أن تكون همزة اتصال بيننا وبين الزعامات الدينية والقبيلية في الشهور المؤدية للحرب في ربيع عام 2003. ومن خلال الشهوانى استطعنا تجنيد العشرات من ضباط وجنود الجيش العراقي ، وتمكننا من خلاله استخدام آخرين لتأمين وحماية الكباري والجسور المنتشرة على نهر الفرات ، والممؤدية إلى بغداد ، لتسهيل عملية دخول قواتنا البرية إلى العاصمة وإسقاط النظام . كما استطعنا بمعاونة الشهوانى تجنيد بعض الضباط والجنود للعمل على منع صدام من إحراق خطوط أنابيب بترول الجنوب.

ومع اقتراب الحرب ، انتقل كبير ضباطنا في بغداد " شارلي أنس - "اسم الحركي - إلى الدوحة ، حيث بقي إلى جوار الجنرال تومي فرانكس ، ليصبح أحد أهم أفراد الفريق العسكري الأمريكي. وكانت مهمة رجلنا " شارلي أنس " مع فرانكس هي نقل المعلومات إليه من خلايانا داخل العراق ، ومساعدته على تحديد الأهداف ، التي يتبعين ضربها ، والأهداف التي لا ينبغي أن يشملها القصف. على سبيل المثال ، تم توجيه أمر لمقاتلة أمريكية بقصف موقع يتحصن داخله أحد أبرز قيادات مخبرات صدام ، واستمات تشارلي لإلغاء الأمر ، واستبداله بأمر للقوات بالعمل على اعتقاله حياً ، لأنه حسبما أكد رجلنا سيكون كنز معلومات وقد كان ما أراد. وفي الشمال ، حققت فرق CIA خلال الفترة ما بعد شهر تموز عام 2002 ، نجاحاً هائلاً في تجنيد أعداد كبيرة من العلماء العراقيين الراغبين في العمل معنا للإطاحة بنظام صدام ، رغم عدم وجود خطة عسكرية لحماية فرقنا هذه ، وانتشار عيون صدام من قوات أمنه في المنطقة. وكانت هناك جماعة تجمعها روابط مذهبية وكانت مهمة لنا على وجه الخصوص . وقد استطعنا إقناع زعماءها بأننا جادين في سعينا للإطاحة بصدام ، ولكن لم ينجح مسعانا في كسب ولاء هذه الجماعة إلا بعد أن سلمنا هؤلاء الزعماء مليوني دولار ، فراحوا على الفور يتعاونون معنا ، ويمدوننا بالمعلومات . وكانت هذه الجماعة تأتي إلى ضباطي بأربعة ضباط عراقيين على الأقل كل أسبوع يعلنون انضمامهم إلينا.

واستطاع رجالنا ومن خلال اختراقهم لشبكة اتصالات صدام ، تتبع حركته داخل بغداد في فترة ما قبل الغزو بقليل. وقبل يومين فقط من المهلة التي منحتها إدارة بوش للنظام العراقي للإنصياع لمطالبتها

وشروطها وإلا تكون الحرب ، علمنا من أحد مصادرنا أن هناك اجتماع لصدام وجميع أفراد أسرته بما فيهم ولاده عدي وقصي ، وأن الاجتماع سيكون في مزرعة زوجة صدام في " الدورة ". وأن هدف الاجتماع هو تحديد ما يمكن عمله حال وقوع الغزو الأمريكي . وقد مرر مصدرنا هذه المعلومات إلى فرق CIA في شمال العراق ، وعلى الفور طيروا الخبر إلى الجنرال تومي فرانكس وفريق عمله العسكري في الدوحة بقطر.

وفي صباح اليوم التالي 19 آذار ، أبلغنا المصدر أن صدام سيذهب مرة أخرى إلى مزرعة زوجته في " الدورة " مساء ذاك اليوم ، وتأكد رجالنا من هذه المعلومة من مصادر أخرى بمنطقة المزرعة نفسها. مما كان مني ، وب مجرد علمي بأنباء اجتماع صدام المرتقب إلا أن اصطحبت نائبـي ماكلوكـلين معي ، إلى مكتب وزير الدفاع دونالـد رامـسفـيلـد ، الذي كنت قد طلبت لقاءـه على الفور ، وفي مرأـب السيـارات لمـحت أحدـ كبار مـسـاعـيـ المسـئـولـ عنـ العمـليـاتـ فيـ الوـكـالـةـ ، فـقلـتـ لهـ : تـعـالـىـ معـنـاـ .

وب مجرد إطلاعـي

رامـسفـيلـدـ عـلـيـ ماـ لـدـيـ ، أـجـابـ بـأـنـ عـمـلاـ عـاجـلاـ لـابـدـ مـنـ اـتـخـاذـهـ ماـ دـمـنـاـ نـعـلـمـ مـكـانـ صـدـامـ يـقـيـنـاـ . وـطـلـبـ لـقـاءـ الرـئـيـسـ بوـشـ فـيـ الـبـيـتـ الـأـبـيـضـ عـلـيـ الفـورـ ، لـوـجـودـ أـمـرـ هـامـ لـاـ يـمـكـنـ تـأـجـيلـهـ . وـقـبـلـ الدـخـولـ فـاجـأـنـاـ رـامـسفـيلـدـ ، الـذـيـ كـانـ يـصـطـحـبـ مـعـهـ رـئـيـسـ أـرـكـانـهـ دـيـكـ ماـيـزـ ، بـأـنـ " كـونـدـوليـزاـ رـايـسـ وـأـنـدـيـ كـارـدـ مـوـجـودـينـ فـوقـ مـعـ الرـئـيـسـ .. " وـمـاـ هـيـ لـحـظـاتـ حـتـيـ طـلـبـ بوـشـ مـنـ باـولـ أـنـ يـنـضـمـ إـلـيـنـاـ . وـقـدـ أـبـلـغـتـ أـنـاـ وـنـائـبـيـ ماـكـلوـكـلـينـ الرـئـيـسـ بـمـاـ لـدـنـاـ ، وـقـلـنـاـ إـنـ هـذـهـ مـعـلـومـاتـ مـوـثـقـ فـيـهـاـ ، وـلـكـنـالـاـ نـسـتـطـيـعـ أـنـ نـقـسمـ بـأـنـهـاـ صـحـيـحـةـ بـنـسـبـةـ 100% ، وـلـاـ نـسـتـطـيـعـ أـنـ نـقـسمـ أـيـضاـ أـنـهـاـ لـيـسـ خـدـعـةـ ، وـلـكـنـاـ نـعـتـقـدـ أـنـهـاـ مـعـلـومـاتـ جـيـدةـ جـداـ ، مـعـ اـحـتمـالـ أـنـ يـغـيـرـ صـدـامـ مـكـانـهـ ، حـتـىـ نـضـرـبـ هـدـفـاـ خـاطـئـاـ فـيـسـتـخـدـمـ هـذـاـ فـيـ حـرـبـ دـعـيـاتـهـ .. وـالـحـقـيقـةـ أـنـ تـوـجـيهـ ضـرـبةـ لـمـكـانـ صـدـامـ لـمـ يـكـنـ بـالـقـرـارـ السـهـلـ . وـقـلـنـاـ لـلـرـئـيـسـ إـنـ لـيـسـ مـنـ الـمـحـتمـلـ أـنـ نـتـمـكـنـ مـنـ الـحـصـولـ عـلـيـ أـيـةـ مـعـلـومـاتـ إـضـافـيـةـ لـمـسـاعـدـتـهـ عـلـىـ اـتـخـاذـ الـقـرـارـ . وـلـكـنـ بـعـدـ لـحـظـاتـ حـصـلـنـاـ بـالـفـعـلـ عـلـىـ المـزـيدـ . فـقـدـ تـلـقـيـنـاـ فـيـ الـحـالـ مـكـالـمـةـ حـولـتـ لـيـ مـنـ مـصـدرـ لـنـاـ بـالـمـنـطـقـةـ يـؤـكـدـ أـنـ حـرـسـ صـدـامـ وـقـوـاتـ أـمـنـهـ شـوـهـدـتـ تـصـلـ الـمـنـطـقـةـ تـبـاعـاـ ، وـأـنـ هـنـاكـ شـائـعـاتـ بـأـنـ الرـئـيـسـ الـعـراـقـيـ سـيـصـلـ فـيـمـاـ بـيـنـ السـاعـةـ 3ـ وـالـسـاعـةـ 30ـ فـجـراـ بـتـوـقـيـتـ بـغـدـادـ . وـمـاـ هـيـ لـحـظـاتـ حـتـيـ

جاءنا بآخر عبر خط تيليفوني آمن من رئيس فريق عملياتنا السرية بالعراق يوضح فيه بأن صدام سيجتمع وأسرته في " ملجاً " بالمزرعة موضحاً أنه خندق محصن تحت الأرض ، لن تخترقه صواريختنا من طراز " كروز ". وهذا معناه أننا سنكون بحاجة إلى قنابل ذكية ! الحقيقة ، لقد كنا على شفا لحظة فارقة يلحظة اتخاذ القرار .. وبعد أن استجتمع الرئيس نفسه ، وقطع الغرفة جيئه وذهاباً .. أمر بتوجيهه الضربة . وصدرت الأوامر لتومي فرانكس في الدوحة واستعد الطيارون ، وجهزت مقاتلتنا بي 2 - ، واتخذت القنابل المضادة للانفاق تحت الأرض أماكنها على قاذفات الطائرات ، وتمني الجميع ألا يكون مع صدام في الفيلا بالمزرعة أطفال ونساء كثيرون ، حتى لا يتعرض لمشكلات على الساحة الدولية . وبعد قصف مكان اجتماع صدام ، أبلغنا مصدر لنا أنه قد تم انتشال جثة تشبه كثيراً صدام من مكان الهجوم . وقد منينا النفس بأن تكون هذه هي بداية الحرب التي ستكون بالتأكيد أقل تكلفة في ضوء مقتل رأس النظام . ولكن لسوء الحظ لم يحدث ما تمنينا . وعلمنا أنه كان هناك فعلاً اجتماع ، ولكن في مبني مجاور للمبني الذي استهدفناه ، ثم علمنا فيما بعد أن صدام وولديه لم يكونوا من بين الموجودين ، وأن مصادرنا كانت تبلغنا بما تعتقد ، وليس ما تراه بأم أعينها

من جانب آخر ربطنا تشيني وفيث ووولفويتز مع أحمد الجبلي عمليهم المحتلss الهاوب من السجن وأسسوا له حزباً وشكلوا له قوة قتالية رغم تأكيدهما لهم أنه مدع ونصاب . فمن بين الأجزاء التي اعتمدت عليها خطة الغزو عراقي اسمه أحمد الجبلي . وقد سمعت اسمه لأول مرة عندما جاء به إلى مكتبي في CIA قبل الحرب كولونيل من وزارة الدفاع الأمريكية وأبلغني أنه مكلف بتشكيل قوة قتالية من العراقيين في المنفى وأنه اختار لها اسم " قوة تحرير العراق ". وهنا أعرب بعض ضباطنا بأن هذه القوة التي يتحدث عن تجهيزها وتسلیحها ، ومطلوب أن يكون قوامها بين 12 - 15 ألف رجل " فرقه كامله " هي أمر يشبه " الفانتازيا " ، وأنه سيكون محظوظاً إذا عثر على ألف عراقي فقط لهذه القوة . وقد اختار الكولونيل احمد الجبلي كي يكون مسؤولاً معه عن هذه القوة . والحقيقة أن الجبلي هو واحد من أكثر الشخصيات المثيرة للجدل

في الدراما العراقية .الجلبي كان مهاجراً رحلت أسرته عن العراق عام 1958 عندما كان طفلاً .ونما وترعرع في بريطانيا والولايات المتحدة .والحقيقة أن الجلبي لم يكن معروفاً في العراق كما هو معروف لبعض الدوائر في الإدارة الأمريكية بوشنطن .وقد حصل الجلبي الذي كان متكافأاً في مظهره المتألق ، على درجة الدكتوراه في الرياضيات من جامعة " شيكاغو ".وكان قد حوكم وأدين وحكم عليه بالسجن غيابياً في أواخر الثمانينيات بتهمة القيام باختلالات مصرفية في الأردن .وبعد حرب الخليج الأولى استطاع الجلبي بمساعدة CIA تأسيس حزب المؤتمر الوطني العراقي في المنفى ، ولكن خلال السنوات التالية سرعان ما اكتشفت CIA أنه شريك لا يمكن الاعتماد عليه .ورغم أن الوكالة كانت تتشكّك في كل ما يأتيها به الجلبي بحكم خبرتها معه ومع ما يأتي به ، إلا أن هناك آخرين في إدارة بوش كانوا يفكرون بطريقة أخرى ، ويعطون الرجل أهمية مبالغ فيها .ومن هؤلاء ديك تشيني ودوجلس فيث وبول وولفويتز نائب رامسفيلد وزير الدفاع .وقد حذرت قيادات CIA من الجلبي .وتتجاهل الكولونيل وقبله إدارة بوش التحذير ، وبدأوا ينادون على المصلين في المساجد الأوروبية ، ويقدمون لهم استمرارات لانضمام لحزب وقوة الجلبي القتالية .وكانت النتيجة أسوأ مما توقعنا ، حيث لم يوقع على استمرارات الانضمام سوى حفنة من الأشخاص .وبعد ذلك ثبت للجميع في واشنطن أن جلبي كان أبعد ما يكون عما كانوا يروجون له ، وأنه لم يقدم شيئاً لنا منذ أن انزلناه هو ومن معه إلى " الناصرية " جنوب العراق ، وأنه كان يكذب على قواتنا هناك ، وشكل دون علم الأميركيين قوة " بدر " وهي قوة مسلحة من عراقيين محليين اشتري ولاءهم ، وطلب منها أن نذهب بهم إلى بغداد لكي يحصل من خلالنا على شرعية تولي السلطة .وما هي إلا فترة من دخلنا العراق ، حتى ثبت كل ما قلناه عنه !!

في واشنطن الجميع يخدعون الجميع

في وقت ما من نهاية شهر مايس بعد فترة قصيرة من الإعلان عن انتهاء العمليات القتالية الرئيسية في العراق ، كنت مع الرئيس بوش في المكتب البيضاوي بالبيت الأبيض ، عندما وصف اجتماعاً له جري مؤخراً مع جيري بريمر وتومي فرانكس . وقال الرئيس أنه سألهما عنمن كان المسئول عن البحث عن أسلحة الدمار الشامل العراقية . ثم التقط الرئيس بأصبعيه مفكرته وأشار على كل منهما ، فما كان من كل منهمما حسبيما قال بوش – إلا أن أشار نحو الآخر . ولم تكن علامة طيبة .. ثم نظر إلى الرئيس بعد وصف ما جرى في هذا الاجتماع ، وقال : ونتيجة لهذا فأنت المسئول من الآن يا جورج ." وكان مسئولو وزارة الدفاع الأمريكية الذين ما تزال قواتهم منخرطة في القتال بالعراق أسعد الناس باضطلاع المخابرات المركزية الأمريكية بعملية البحث عن أسلحة الدمار العراقية . هذه المهمة وبالحسابات اللوجستية ، كانت تنطوي على بعض الأفخاخ ، لأن العسكريين لا بد وأن يشاركون بنصيب الأسد في عملية البحث الفعلية ، كما سيتولون جميع المهام المتعلقة بتأمين وحماية أفراد فرق CIA المكلفين بالبحث عن هذه الأسلحة . والخروج من هذا المأزق ، بدأنا عملية تفاوض مع وزارة الدفاع لإقرار مذكرة تفاهم لتحديد مستشار عسكري كبير يعمل إلى جواري وليس كرئيس أو قائد . وهكذا توصلنا إلى إنشاء ما عرف بـ " مجموعة مسح العراق ." وكانت المجموعة - تقنياً - تعمل تحت قيادة ضابطين كبيرين كل منهما برتبة جنرال ، ومسئوليـن أمام وزير الدفاع . وقد لا يعتبر البعض أن تحديد المهام في مثل هذه المسائل ينطوي على الكثير من العناء ولكن وسط مثل ما كنا نعانيه من بiroقراطية ، كانت عملية تحديد التسلسل القيادي والصلاحيات والسلطات مسألة شاقة للغاية . ويجرد هنا بي القول بأن عملية البحث عن أسلحة الدمار كانت مهمة في غاية الصعوبة بسبب المساحات الهائلة من الأرضي ، التي يتبعـن أن تغطيها عملية البحث . فقد كان بالعراق مثلاً 130 موقعاً يتم فيه تخزين الذخائر ، مساحة اثنين منها تقريباً تعادل مساحة منطقة " مانهاتن " في نيويورك . وقد التحق بمجموعة مسح العراق 1400 فرداً معظمهم من الأمريكيين بالإضافة

إلي بعض البريطانيين وال-australians . ولطالما كان البعض لا يوافق على عدد المجموعة حيث يرونها ضئيلاً بالنسبة لفريق مسحى يعمل في مناطق قتال .. وأقول بمنتهى الأمانة إن الالتزام بتحقيق المطلوب من جانب المجموعة كان أيضاً أكثر ضالة فقد أضعنا الكثير من الوقت ، لا سيما وأن عمليات القتال الرئيسية استمرت لشهرين من بدء عملنا ، والآن وبعد انتهاء العمليات بدأنا تنظيم أنفسنا والبحث عن أسلحة الدمار المكلفين بها من جانب إدارتنا ، والتي كانت هذه الإدارة قد اتخذت منها مبرراً لشن الحرب.

وفي تكميل الأثناء كان العراقيون يقومون - عن عمد - بتدمير السجلات ، كما تعرضت أدلة ووثائق أخرى للسرقة ، وبعضها على يد أعضاء جماعات حزب المؤتمر الوطني العراقي ، الذي يتزعمه أحمد الجلبي ، مما يثير الشكوك حول ما يخشاه الجلبي من افتضاح أمر ما يتعلق به في هذه الوثائق ، التي كان حريصاً على سرقتها. وبينما كنا نبحث ونفكر فيما يمكنه قيادة مجموعة البحث ، حدث أن زارنا ديفيد كي في مقر وكالتنا للإطلاع على بعض الأوراق التي تتعلق بعمله كمستشار في مجلس الأمن القومي الأمريكي . وكان ظهوره في تلك اللحظة بالنسبة لنا هدية من السماء. كان كي مفتش أسلحة سابق بالأمم المتحدة ، عاد لتوه من العراق ، ليقع عليه الاختيار للعمل مستشاراً في مجلس الأمن القومي . وأنباء وجود كاي بالعراق ، كان قد تم العثور قرب الموصل شمال العراق على شاحنة في نهاية شهر نيسان بدت أشبه بمعمل أسلحة بيولوجية متنقل وهو ما أشار إليه باول في خطابه أمام الأمم المتحدة ، وهو أيضاً ما تضمنته تقديرات المخابرات القومية الأمريكية قبل الحرب. وفي مقابلة أجراها معه شبكة تيليزيون " إن . بي . سي " الأمريكية في شهر مايس عام 2003 ، أكد كاي أنه قد تأكد بنفسه بعد فحصه - شخصياً - للشاحنة من أنه لا يمكن أن يكون لها أي استخدام آخر غير أن تكون " معامل أسلحة بيولوجية متقللاً". كما كرر كي نفس مما قاله في " سي . إن . إن " في الثامن من حزيران (نفس الشيء قاله تشارلز دوفلر خليفة كاي في رئاسة فريق مفتشي الأمم المتحدة بعد عام واحد). وكان كاي متأكداً لدرجة لا تصدق ، مما يبعث على الثقة ، لا سيما وهو الخبير المشهود له في هذا المجال . وبعد عدة أيام التقيت أنا ونائبي جون ماكلوكلين مع كاي بمكتبي ، حيث شاركنا

انطباعاته وأراءه حول الأوضاع في العراق وامكانية عثورنا على أسلحة الدمار العراقية وهي مبتغانا جميعاً وكنا نتوقع بالفعل أن نعثر عليها. وبغض النظر عما حدث فيما بعد ، إلا أنني في تلك الأثناء كنت واثقاً من :أ (ان كي يجيد عمله ، ولديه خبرات سابقة في العراق) ب (علينا التحرك بسرعة) . وبالفعل تم تعيين كي في منصب كبير مستشاري مدير CIA في 11 حزيران ليتوجه مباشرة إلى المنطقة بعد أسبوع قتيله بعد تلقي إشارة من واشنطن.

"اكتشف الحقيقة " هكذا كانت وببساطة تعليماتنا إلى كي . بعد أن وعدناه بتوفير كل الموارد ، التي يحتاج إليها ، وعدم تدخل المسؤولين بالإدارة الأمريكية في عمله. وكان من البادي للعيان أن كاي لم يكن يتصور أن العثور على أسلحة دمار صدام ستكون بمثل هذه الصعوبة التي سيواجهها فيما بعد . ولكن صدام كان يمارس لعبة القط والفار فيما يتعلق ببرامج أسلحته لأكثر من عشر سنوات ، وكان من المفترض أن يكون في مسلكه هذا تحذير كاف للمفتشين على أسلحته. الأسوأ من ذلك ، أن تدهور الأوضاع الأمنية في العراق لم يتح الفرصة كاملة للبحث والعثور على الأسلحة ، لأن الصراع من أجل الإفلات من الموت والبقاء على قيد الحياة كان هو الغالب.

وبمجرد وصوله العراق ، أقام كي ورشة عمل في "المنطقة الخضراء" في بغداد التي تخضع لاقتصرى درجات الحماية الأمنية ، أما معظم أفراد مجموعته فقد انتشرت عند مشارف العاصمة على مقربة من مطار بغداد الدولي. وكان أهم ما فعلناه عند تكليف كي بهذه المهمة هو تحديد وضعية دور الإدارية في واشنطن بالنسبة لكي ومجموعته ، بحيث استطعنا منحه نوعاً من الاستقلالية في عمله. وبعد ثلاثة أشهر ، عاد كي إلى واشنطن ، حيث قدم تقريره الدوري للكونгрس ، الذي أعده بنفسه بالكامل ، حيث شدد نائب ماكلوكلين على أن الكلمة الأخيرة في كل صغيرة وكبيرة تكون لكي فقط . وقد قاتلنا بشراسة لنضمن استقلالية كي . وكان البيت الأبيض بالطبع مهتماً بمعرفة كل ما سيقوله كي أولاً بأول . ولكن ماكلوكلين لم يدع فرصة لأحد أن يطلع على تقرير كي حتى قدمه للكونгрس ذاك الصباح ، خوفاً من أن يحاول البيت الأبيض تغيير شيء فيه ، فقد كنا نريد أن نضمن عدم القفز على الواقع لتحقيق أهداف سياسية .

وفي شهادته أمام الكونгрس في الثاني من شباط ، - ثبت لدينا فيما بعد أنها كانت تنطوي على عملية خداع - شرح كي كيف كان صدام حسين قبل الحرب يضل ويخدع مفتشي الأسلحة الدوليين . وقال للكونгрس في شهادته أن مجموعة مسح العراق التي يرأسها اكتشفت دليلاً على نية صدام تطوير أسلحة دمار شامل وأنه كانت لديه القدرة على القيام بذلك . وأضاف كي للصحفيين أنه بحاجة إلى فترة تتراوح ما بين 6 - 9 شهور من البحث للوصول إلى نتائج أكثر تحديداً . وظهرت الصحف في اليوم التالي ونقلت في مانشيتاتها عن كاي قوله بأنه " تم العثور على مخزون من أسلحة الدمار الشامل في العراق ." و بالإضافة لما أعلن عنه كي من اكتشافه ل什رات الأنشطة والأجهزة والمعدات المرتبطة ببرامج أسلحة دمار شامل ، تحدث الرجل أيضاً عن العثور على شبكة سرية من المعامل ومنازل آمنة كانت تديرها المخابرات العراقية في عهد صدام وهذه المنازل والمعامل – كما ذكر كي – كانت تجرى فيها أبحاث خاصة ببرامج أسلحة كيماوية وبيولوجية ، كما عثر في بيت عالم عراقي على عناصر من تلك التي يتم استخدامها لتطوير سلاح بيولوجي . أما بالنسبة للأسلحة النووية فقد تم العثور على معدات تستخدم في تخصيب اليورانيوم مدفونة تحت بيوت علماء عراقيين وفي أماكن أخرى . ومع البحث اكتشف كاي ومجموعة المسح التي تعمل تحت رئاسته تصميمات ورسوم لبرنامج تطوير صواريخ بعيدة المدى يقدر مداها على الأقل بـ 1000 كيلومتر . والمعروف وحسب ما فرضته الأمم المتحدة من عقوبات على العراق ، يحظر عليه الاحتفاظ أو تطوير أي صواريخ يزيد مداها عن 150 كيلومتر ، لأنه سيكون بمقدوره – وقتذاك – ضرب أهداف في أي مكان بالشرق الأوسط بما في ذلك انقرة والقاهرة وأبوظبي . كما عثرت مجموعة كي على دليل يثبت أن العراق قد حاول سراً فيما بين عامي 1999 و 2002 الحصول على تكنولوجيا إنتاج صواريخ باليستيرية من كوريا الشمالية .

وعاد كي للعراق ، حيث تدهورت الأوضاع الأمنية بصورةأسوأ مما كانت عليه قبل رحيله ، وفي التاسع من شباط وقعت عدة هجمات انتحارية بالمتجرات واستمر تدهور الموقف في تصاعد ، فما كان من كي إلا أن بدأ يشك ويشكوا ، وراحت شائعات تتردد بقوة عن نيته

الاعتذار عن مواصلة مهمته في العراق ، وبعد التأكد من صحة هذه الشائعات صدرت الأوامر لكي بالعودة ، وبعد عملية بحث مرضية وقع الاختيار على تشارلز دوفلر وهو أيضاً مفتش أسلحة سابق عمل ضمن فرق التفتيش الدولية في العراق . وشغل منصب نائب رئيس فريق التفتيش الدولي. وكان دوفلر كما توقعنا رجلاً ذو إرادة حديدية ، لم تثنه الأوضاع الأمنية المتفجرة عن البحث عن الأسلحة. وقد حاولنا أن تكون عملية إنهاء عمل كي في صورة تحفظ للرجل صورته ، وقد كان ، ولكننا فوجئنا به يقول ل " توبى زكريا " مراسل وكالة رويتز لشئون المخابرات عقب رحلته للمرة الأخيرة من مقر الوكالة " لم نعثر على أي مخزون من أسلحة الدمار الشامل في العراق .." وهكذا كان كي ينافق أيضاً ما صرح به هونفسه قبل أيام!! ثم عاد مرة أخرى ليقول في شهادته أمام لجنة القوات المسلحة بمجلس الشيوخ 28 كانون الثاني 2004 "يظهر أننا جمياً كنا على خطأ...!!" ثم راح يعزف نفس الاسطوانة المشروخة التي يلجا إليها البعض بقوله أنه لو كانت لديه من الموارد ما يكفي لاستطعنا العثور على أسلحة الدمار ". والسؤال الذي لم يجب عليه كي ، وأنا أطرحه هنا هو " :ما دمت متأكداً هكذا من عدم وجود أسلحة - كما تراجعت في أقوالك – فماذا ستفعل بالموارد ، التي تتحدث عنها .. هل ستبحث بها عن أشياء أنت متأكد من عدم وجودها ؟!! والغريب أن ديفيد كي بدأ بعد ذلك يهاجمني ويتهمني بمحاولة القفز على دور صانعي السياسة في أمريكا. وأخيراً أقول إن الخلط بين ما كان يأتيانا من معلومات ، وما يمليه السياسة على من يأتونا به ، فلا تعرف الحقيقة من الكذب ، ثم تراجع البعض فيما يقولونه ، ثم الكذب وادعاء أشياء لم تحدث أصلاً ، لأن ينسب إليك كلاماً لم تتفوه به ، أو موافق لم تمر بها .. كل هذا كان يجعل الأمور في غاية الصعوبة والعمل أكثر من مربك وشاق.

16 كلمة غيرت مجرى حياتي

"كوندي لدلي مشكلة" هذه هي العبارة التي كانت تكرهها مستشارة الأمن القومي الأمريكي عندما أتفوه بها أمامها .ولكن ليس بدرجة كرهي أنا لهذه العبارة .ولكن من سوء حظي أن مهام وظيفتي تتضمني مني استخدام هذه الكلمات .وقد اضطررت لاستخدام هذه العبارة مرة أخرى في منتصف شهر حزيران من عام 2003 ، فقد اتصلت بها لأقول إنه قد حان الوقت بأن نعرف - من وقت سابق في الحقيقة - بأن بعض الكلمات في خطاب الرئيس عن حالة الاتحاد قبل ستة أشهر لم يكن يجب أن تكون فيه .. وهذه الكلمات الـ 16 التي كنت أعنيها هي " : علمت الحكومة البريطانية أن صدام حسين سعى مؤخراً للحصول على كميات مهمة من اليورانيوم من إفريقيا .." هذه الكلمات التي خافت - فيما بعد - عاصفة نارية ، ولكنها يوم خطاب الاتحاد بالكاد لوحظت.

وتبدأ هذه القصة يوم 5 تشرين الأول عام 2002 ، حيث كنت أعمل في مكتبي عندما جاءني عدد من ضباطي يقولون لي إنهم يواجهون متاعب في إقلاع البيت الأبيض بحذف جمل من الخطاب الذي يستعد الرئيس بوش لإلقائه في "سينسيناتي"." فقد أكدت المسودة السادسة للخطاب أن نظام صدام "ضبط وهو يحاول شراء 500 طن متري من أكسيد اليورانيوم من مصادر في إفريقيا." ونتيجة لتحليلاتهم ، قال لي ضباطي أننا لا ينبغي أن نوافق على هذا البيان .وعندما كنت أقدم شهادتي أمام الكونجرس في اليوم السابق بخصوص هذه المسألة ، كنت أعرف أن العكس صحيح

تماماً . فللتقطت سماعة الهاتف ، واتصلت بستيفن هادلي . وكان حديثي معه مقتضب ومبادر .. قلت : ستيف احذف هذا الجزء .وقلت له إنه لا يريد أن يجعل من الرئيس "شاهد عيان" في هذه القضية . وقلت له أن ما لدينا من حقائق تدحض ما ينوي الرئيس قوله في خطابه . في الوقت نفسه ، بعث مساعدي التنفيذي بمذكرة إلى كاتب خطابات الرئيس وكذلك هادلي لتأكيد

مخاوفنا . وتقول المذكرة في جزء منها " : احذفوا جملة " صدام حاول شراء أكسيد اليورانيوم لأن الكمية المذكورة محل خلاف ، كما أن مسألة الحصول عليها من المصدر المذكور لا يمكن تأكيدها . وقد أبلغنا

الكونгрس أن البريطانيين بالغوا في هذه القضية. ولكن في النهاية قال بوش إن العراقيين لديهم في مخازنهم بالفعل 550 طناً من أكسيد اليورانيوم!!

والذي حدث هو أن البيت الأبيض حذف العبارة من مسودة الخطاب ، ولكن في اليوم التالي ، وكان يوم أحد ، بعث أحد كبار محللين بمذكرة أخرى على 1600 شارع بنسلفانيا " البيت الأبيض " يذكر فيها أن أسباب طلبنا حذف هذا الجزء من خطابه هي : (1) _ (الدليل ضعيف ، وأحد المنجمين

المذكورين كمصدر لليورانيوم في النيجر كانت مياه الفيوضات قد أغرقته منذ زمن . والآخر يقع تحت سيطرة السلطات الفرنسية(2) كمية اليورانيوم المذكورة لا تعني الكثير لل العراقيين لأن لديهم بالفعل مخزون كبير من أكسيد اليورانيوم في مخازنهم (3) لقد أطلتنا الكونгрس على النقطة (1) و(2)

، وأبلغناهم بأن هذه القصة ضخمت ، وأن هذه هي إحدى قصتين اختلفنا فيما مع البريطانيين . وقد وجه مايك موريل هذه المذكرة كما كتب بخط يده إلى رئيس وهادلي وجيرسون و تم إرسالها إلى البيت الأبيض (مايك جيرسون هو كبير كتاب خطابات الرئيس). ورغم كل ذلك ، وجدنا قصة يورانيوم النيجر أو " الكعكة الصفراء " ، بعد ثلاثة أشهر ، في خطاب الرئيس بوش عن حالة الاتحاد ، الذي ألقاه في العام 2003 .

وراحت الأزمة تتتصاعد في الصحافة . وفي شهر مايو كتب نيكولاس كريستوف في صحيفة " نيويورك تايمز " يقول إن مبعوثاً أمريكيأً تم إرساله إلى النيجر ، ليعود ويبلغ CIA والخارجية الأمريكية بأن القصة مفبركة . ولكن إدارة بوش بقيت على تمسكها بها . فقررت تحمل جزء من المسئولية عن فقرة " كعكة النيجر الصفراء " في خطاب بوش لأنلقى بعض الضربات عنه رغم تحذيراتي لرئيس وهادلي وكاتب خطابات الرئيس !! وعادت القصة للأضواء من جديد عندما بدأ محرر شئون المخابرات المعروف بصحيفة " واشنطن بوست " يطرح الأسئلة بشأن سفير أمريكي سابق قال إن CIA أرسلته بناء على طلب نائب الرئيس ديك تشيني للتأكد من حقيقة صفة يورتيوم النيجر . وعندما حاول بينكوس استطلاع رأينا حول هذه المعلومات ، وجد المكتب الصحفي للوكالة نفسه في حاجة إلى يوم أو يومين لمعرفة

ما كان يتحدث عنه .والحقيقة أن هذا السفير كان قد تم إرساله بواسطة إدارة العمليات بالوكالة ، قبل 16 شهراً من سؤال بينوكوس ، وتوصل إلى نفس النتيجة ، وكان المكتب الصحفي بحاجة لمعرفة من كانوا على صلة بمهمة السفير .وفي النهاية ، أبلغ المكتب الصحفي كريستوف بأن قصة السفير حقيقة ، ولكن المهمة لم يكن لها أية صلة بذاته نائب الرئيس ديك تشيني ، ولم يتم إخباره أبداً بزيارة السفير للنيجر ، وكل ما تم إطلاعه عليه هو نتائج تحقيقاتنا في القصة بشكل عام. ولكن ما لم يعرفه رجالنا في المكتب الصحفي هو أن كريستوف عرف بأمر زيارة السفير من السفير نفسه جوزيف ويلسون ، الذي أرسلته CIA للقيام بالمهمة .أما كيف جرت الزيارة ، فقد كان هذا السؤال هو محور ما تلقيناه من نائب الرئيس ووزارة الخارجية واستخبارات وزارة الدفاع التي طلبت منا تزويدها بكل ما لدينا من معلومات في هذا الصدد. وقد كانت إدارة العمليات في وكالتنا قد أسننت مهمة تقصي الحقائق في النيجر لويلسون لأنه كان معروفاً جيداً لدينا ، حيث قام من قبل بمهمة كلفناه بها ، كما كانت زوجته تعمل لدينا بالوكالة. ولم يكن من المفاجئ لنا أن ينفي المسؤولون في النيجر لويلسون إبرام أية صفقة يورانيوم مع صدام .ولم يقدم ويلسون حتى تقريراً بهذا النفي إلينا ، بل نقله بسانه لاثنين من محللين في بيته حيث قدم لهما عشاءً صينياً .وكان ملخص ما قاله هو : مسئولو النيجر نفوا قيامهم ببيع أي كعكة صفراء للعراق ، ولكن مسؤولاً واحداً قال إن العراق لطالما كان يسعى لتوسيع علاقاته التجارية مع النيجر ، ويفترض أن اليورانيوم ربما يكون هدف العراق من السعي الحديث لتوسيع هذه العلاقات .ورغم اسقاطنا قصة يورانيوم النيجر هذه من حساباتنا ، بعد ثبوت عدم صحتها ، وإبلاغنا مكتب نائب الرئيس ديك تشيني بالنتيجة النهائية ، إلا أنها فوجئنا بعد خطاب الاتحاد ، أن كتب بينوكوس من جديد قصة السفير ويلسون ، وقامت الدنيا ولم تقع في وسائل الإعلام ، ومن جديد راح تشيني يقول إن CIA فشلت في إبلاغنا بالحقيقة!! ومع الوقت انزوت حكاية يورانيوم النيجر ، وبدت وكأنها أصبحت طي النسيان .وبالنسبة لي لم تكن ذات أهمية ، أو مصدر أي نوع من الفلق.

في ربيع ذاك العام وبعد القاء بوش لخطابه ، اتصلت بكوندوليزا رايس في حزيران لإبداء انزعاجي لسرد الرئيس قصة يورانيوم النيجر

كدليل ضد صدام ، رغم تنبيهنا لعدم صحتها. وبعد عدة أيام ، اتصلت بي كوندي ، لتبلغني بأن البيت الأبيض لن يصدر أي بيان يقول فيه بأن قصة

يورانيوم النيجر لم يكن من الواجب تضمينها خطاب الرئيس موضحة أن قرار استخدامها كدليل ضد صدام على سعيه لامتلاك أسلحة دمار شامل لم يكن قرارها.

وفي فجر السادس من تموز ، وقت تلقي موجز أقوال الصحف الذي يعده لي - يومياً - مساعد المكلف بذلك ، فوجئت بالسفير ويلسون ، الذي أدرك أن الاستمرار في تزويد كريستوف وبينوكس بالمعلومات لن يحقق أهدافه ، يكتب مقالاً في صحيفة " نيويورك تايمز " بعنوان " ما لم أجده في

النيجر. " وبينما أشعلت مقالات كريستوف وبينوكس شرارة غضب في البيت الأبيض ، أحدث مقال ويلسون ، وظهوره بعد ذلك على شاشة التليفزيون عاصفة من النيران ليؤكد أن بوش وإدارته قد تجاهموا تأكيداته بأن قصة يورانيوم النيجر كاذبة وغير حقيقة. وبعد أن أصبحت القضية موضوع الساعة أضطر آري فليشر المتحدث باسم الرئيس بوش على لسان المتحدث باسم البيت الأبيض إصدار بيان اعتذار للأمريكيين يعترف بوش فيه بأنه كان من المفروض إلا يتم ذكر هذه القصة في خطابه " ..نحن آسفون " .." هناك أخطاء وقعت . " وهكذا أضطر بوش لعمل ما طالبت كوندي به قبل أسبوع قليلة ..وهكذا كان من المفترض أيضاً أن تنتهي الضجة بمجرد تراجع الرئيس عن هذا الخطأ. ولكن بدأت الألسن في الإدارة تحمل بعضها البعض مسؤولية ما حدث ، دون الظهور ، بل من خلال " مصادر رسمية لم تفصح عن نفسها " ، وراح منتقدو إدارة بوش ينعتون الرئيس بـ " الكذاب " علناً.

وبفعل الحملات الرهيبة التي تعرض لها الرئيس بوش ، وكذلك أفراد إدارته ، بسبب افتتاح أمر صفقة اليورانيوم ، قررت أن أتحمل المسئولية عن الرئيس ، وأتلقى عنه بعض الضربات ، واتصلت بستيفن هادلي ، وقلت له سأتحمل المسئولية مع بوش ، وسأعترف بمسئوليّة الوكالة عن التقصير في بذل ما يستحق من جهد وضغط لإنقاذ الرئيس بحذف فقرة النيجر ، رغم حقيقة أننا حذرنا البيت الأبيض وهادلي ورئيس وكبير كتاب

خطابات الرئيس ، ويعثنا بمذكرتين من قبل الخطاب ، نؤكد فيما ضرورة حذف القصة من الخطاب. وهنا قال لي هادلي " إنها مسئولية مشتركة جورج." وللهذا السبب ، توقعت تماماً أن تعلن كوندي في بيان رسمي انضمامها لي في تحمل المسئولية. والحقيقة أني أعترف بأنني كان علي أن أضغط بكل قوة لكي أحذر الرئيس نفسه من الكلمات الـ 16 في خطابه ، وأقول أيضاً إني اكتفيت بكل ما فعلته من تحذيرات شفهية وتحريرية ومنها تحذيرات بعثت بها إلى البيت الأبيض ، مفترضاً أنها ستصل الرئيس ، ولا يتم توجيهها لهادلي وكوندي. وب مجرد أن أنهيت مكالمتي مع ستيف هادلي ، استدعيت بيل هارلو كاتب كلماتي وخطاباتي ، وقلت له إني قررت إصدار بيان أحمل نفسي فيه جزءاً من اللوم عن فقرة النيجر ، التي وردت في خطاب

الرئيس ، وإنني أريده مقتضاياً ، واضحاً ، لا يقبل التأويل ، ولكن يذكر فيه تعاملنا مع قضية يورانيوم النيجر بكل شفافية ، ووضوح ، ودون لبس ، مع الالتزام المطلق بذكر الحقيقة ، والتاكيد على تحذيراتنا من تضمينها في الخطاب ، باعتبارها واقعة غير صحيحة. ولكن لا مكان للحقيقة عند صقور الرئيس ، والصدق ليس في أجندتهم وحكمة البوشيين عندما تواجههم مشكلة : نحن ومن بعدها الطوفان!!

وبينما كنا ننصح البيان الذي سأدلي به مراراً وتكراراً ، اتصل بي ستيفن هادلي يطلب مني الاتصال ب سكوتر ليبى رئيس أركان ديك تشيني نائب الرئيس لأناقش معه بياني ، فرفضت أن أفعل ذلك ، مؤكدأً إنه بياني أنا ولا دخل لأحد به. ووصلتني تقارير بأن ليبى وكارل روف مستشار بوش يريدان مطالعة بياني ..، ولكنني لم أكن أعرف وجهة نظرهما بالنسبة لطلبهما هذا. وفي تلك الأثناء ، تلقى بيل هارلو كاتب خطاباتي اتصالاً قطع عليه موافقة مراجعة وتنقيح بياني.. كان المتصل هو بوب نوفاك كاتب المقال المعروف يقول إن مصدرين من الإداره أبلغاه أن السبب الرئيسي لاختيار CIA السفير ويلسون للسفر إلى النيجر هو أن زوجته تعمل بالوكالة ،

ولولاها ما وقع عليه الاختيار للمهمة .وهنا أكد له هارلو أن هذه المعلومات غير صحيحة ، وحذره من الإفصاح عن اسم مسر ويلسون . ولم يكن بمقدور هارلو بحكم القانون ، وحقيقة أن مثل هذه المكالمات

تجري من خلال هواتف غير مؤمنة – أن يكشف ل نوفاك أن اسم فاليري ويلسون يخضع

لقانون السرية ، لأنه لو فعل سيكون قد انتهك القواعد والقوانين المعمول بها. ولكن نوفاك لم يعمل بتحذير هارلو، وبعد أسبوعين تقريباً نشر نوفاك مقالة كشف فيه عن شخصية فاليري ويلسون ، فأرسلنا محامو CIA إلى وزارة العدل ، وقدموا دعوى جنائية ضد نوفاك.

وحدث أن أخذ هادلي مسودة بياني ومررها إلى رايس ، التي كشفت عنها للرئيس على متن طائرته بعد أيام قبل أن توزع لهادلي أن يسلخ منها اعترافي فقط بالقصير ، وينشره على النحو الذي خرجت به وكالة روويترز على سبيل المثال " : البيت الأبيض يتهم " سي . آي . إيه "

بتضليله في

قضية يورانيوم النيجر." وراحت كوندي تقول للصحافة إن" سي آي إيه "لم تتعمد هذا الخطأ ، وأن الرئيس لا يزال يضع ثقته في مديرها تينيت !

ومن هنا كان التوتر غير العادي بين وبين كوندوليزا رايس ونائبهما في مجلس الأمن القومي ستيفن هادلي ، وخاصة بعد أن واجهتها في نقاش داخلي بأحد الاجتماعات حول الأسباب التي دعت الرئيس للقول خطأ في خطاب حالة الاتحاد عام 2003، إن العراق يسعى للحصول على يورانيوم من أفريقيا ، وما حدث بعد ذلك. وأنكر أن كولن دعاني بعد ظهر يوم أحد ووصف لي ما اطلق عليه " نقاشاً ممتعاً " دار في الطائرة الرئاسية ، قبل أيام ، حول " ما اذا كان يجب على البيت الأبيض الاستمرار

في دعم تينيت كمدير لوكالة الاستخبارات المركزية .وقال باول " " في النهاية رد الرئيس بالإيجاب وعلانية .ولكن باول أكد لي " أن بقية المسؤولين ، ونائب الرئيس ديك تشيني ، بصفة خاصة ، كانت لديهم وجهة نظر أخرى" وأدركت بعدها أن العاصفة لن تهدأ وأن علاقتي بإدارة بوش قد تغيرت إلى للأبد!!

وعودة إلى قضية الكشف عن هوية عملية المخابرات المركزية فاليري ويلسون ، فقد تسرعت الأحداث ، وتمت إحالة القضية للمحقق الخاص باتريك فتزجيرالد لمعرفة ما إذا كان هناك تصرف غير قانوني في تسريب هوية عميلتنا فاليري. وقد اتهم السفير ويلسون مسؤولي

البيت الابيض بتسريب المعلومات عن عمل زوجته المخابراتي الى الصحافة ، كانتقام منه لانتقاده حرب بوش على العراق. وبعد سماع شهادات كبار الشخصيات في الادارة ، أصدرت هيئة المحلفين العليا إدانة لـ لويس ليبي كبير مساعد نائب الرئيس ديك تشيني ، وستيفن هادلي نائب مستشار الامن القومي كوندوليزا رايس. وقال هادلي في لقاء مع الصحفيين " : كان يجب ان اذكر وقت خطاب حالة الاتحاد أنه كان هناك جدال مرتبط بمسألة اليورانيوم . " وأضاف " ... كان ينبغي أن أطلب حذف الكلمات الستة عشر، التي تتعلق بالموضوع ، أو أن أخطر مدير المخابرات المركزية جورج تينيت بأنني لم أفعل . ولو كنت فعلت ذلك لكان هذا الجدال الدائر كله قد تم تفاديه . " وقال هادلي للصحفيين " اتضح لي الان أنني قصرت في أداء تلك المسؤولية . " ومضى هادلي يقول أنه لم يتذكر اعترافات وكالة المخابرات المركزية ، التي جاءت في مذكرين ومحادثة هاتفية معي في الأيام ، التي سبقت خطاب بوش. وأوضح هادلي أن مذكري وكالة المخابرات المركزية اللتين أرسلتا اليه تم العثور عليهما بعد الخطاب بمدة طويلة. وكانت القضية من الاتساع بحيث تمأخذ أقوال بوش وتشيني فيها ولكن دون حلف اليمين ، كما شملت مات كوبر من مجلة " تايم " وجوديث ميلر من " نيويورك تايمز " وجلين كيسيلر من " واشنطن بوست " وتيم روسيرت من " إن بي سي . " أما ليبي فقد علم بهوية زوجة ويلسون من رئيسه تشيني نائب الرئيس قبل أن يكشف عنها لصحف " نيويورك تايمز ! " وهكذا فإنني وبعد مرور 16 يوماً على ظهور مقال نوفاك في صحيفة " نيويورك تايمز " ، الذيتناول فيه قضية 16 كلمة من كلمات خطاب الرئيس .. في هذه الفترة القصيرة تغيرت علاقتي بإدارة بوش للأبد .

استقالتي من منصبي

في لحظة ما من لحظات عمل من يشغل وظيفة كوظيفي ستجد أن كل ما عليك ان تفعله هو أن تترك كل شيء وترحل ، بعد أن عشت على أعصابك تعاطي الأدرينالين ردحاً من الزمن .. الضغوط عليك لا تهدأ ولا تلين .. ومكالمات " نص الليل " تزيد من وطأتها . وقلت لنفسي: لا جدوى من البقاء وأنت تضرب رأسك في " الحائط" وأفراد الإدارة يعلقون الحبل في رقبتك والبيت الأبيض يستمتع بالمشاهدة!! قررت الرحيل لأن توقف عن تعاطي الأدرينالين الذي أدمنته سنوات، لأجد وقتاً أخصصه لابني جون وزوجتي ستيفاني ولأنام الليل قرير العين .

في هذه اللحظة ستجد أن الأعباء تقل كاهمك بصورة رهيبة ، ولا تنتهي أبداً .. لن تجد وقتاً تمضيه مع أسرتك .. لن تجد فرصة لحضور مباريات ابنك مع مدرسته ، ناهيك عن الأمل الضعيف في أن تمضي مجرد أجازة قصيرة مع الأسرة ، أو ضياع الأمل بالكامل ، مما يزيد من قسوة معاناتك .. ثم يأتي شيء ما .. حادث مفاجئ وعابر ، فتقول لنفسك : ها هي اللحظة ، وذلك بعد أن تكون قد عرفت أنه لا جدوى من البقاء ما دمت تضرب رأسك في الحائط..) الأدرينالين هرمون سمي بهذا الاسم نسبة إلى " غدة الأدرينال " فوق الكلية وهي الغدة الرئيسية التي تنفع عند الغيظ والغضب والحدق والخوف وتفرز هرمون الأدرينالين.) وقد أدركت أن هذه اللحظة قد حانت ، عندما تفجرت قضية الـ 16 كلمة . فقد تصاعدت حمى عداء اللاعبين الكبار في إدارة بوش ضد بشرى ، حتى بلغت مستويات أولمبية . وكان السيناتور ديفيد بورين قد دعاني في شهر مايس عام 2003 قبل تفجر القضية بأشهر قليلة لزيارة جامعة أوكلاهوما ، وإلقاء كلمة افتتاحية في حفل التخرج . وبعد الحفل قام ديفيد وزوجته

موللي بمصاحبتي وزوجتي ستيفاني إلى مكان كانوا يستعدان لإقامة منزلهما الجديد عليه . وهناك فوق ربوة وسط الحقل أح على ديفيد من جديد بأن استقيل من منصبي ، مؤكداً لي أن الوقت قد حان . وقال إنني قدمت من عمري ما يكفي .. خدمت في إدارتين .. إدارة الرئيس كلينتون ، وإدارة الرئيس

بوش .. وعاصرت 11 أيلول .. ولا أحد يستطيع أن يطلب من مدير مخابرات مركزية أن يقدم أكثر مما قدمته .. "من الأفضل أن ترحل وأنت لم تزل بعد على قدميك ". ولأنني لم أعرف أفضل من ديفيد خبرة في عالم السياسة ، فقد أنصث إلية بامعان ، وب مجرد عودتي إلى واشنطن ، أبلغت أندى كارد.

وفي تلك الأثناء ، علمت أن الإدارة كانت تتحدث مع جيم لانجدون رئيس هيئة مستشاري الرئيس للاستخبارات الخارجية حول توليه منصبي . ولم أعرف هل هناك علاقة بين هذا العرض ، وحديثي مع أندى كارد ، أم أنها مبادرة منفصلة من جانب الإدارة .. وفيما عدا ذلك ، لم أسمع عن أي شيء حول هذا الموضوع حتى شهر أيلول ، عندما طلب مني الرئيس أن أهرع إليه على وجه السرعة في ساعة مبكرة من صباح أحد الأيام ، قبل موعد تقديم موجزي الاستخباراتي اليومي له . وبينما كنا نجلس وحننا في المكتب البيضاوي نظر إلى بوش وقال " إنني فعلًا في حاجة لأن تبقى في منصبك .." كانت جملة مقتضبة لم أجده معها ما يجعلني أفعل دون ما طلب الرئيس لا سيما وأن حرب العراق كانت مستمرة ، وال الحرب على الإرهاب متواصلة ، وهناك عنف في أفغانستان وحول العالم .. كان من الصعب في مثل هذه الظروف أن أرفض طلب الرئيس . ولكنني كنت على المستوى الشخصي ك فعلًا مستعداً للرحيل ، وكان ابني هو أهم أسبابي وكان بعد في المدرسة . وكان تأثير عملي في غاية القسوة . والمناخ العام الذي أتواجد فيه لا يساعد ، وكانت أتمزق لأنني كنت أعلم أن ل CIA نساء ورجال يعملون في جبهات كثيرة ، وأن تركهم ، ومعهم بقية العاملين في الوكالة وسط هذه المحنـة كان مسألة صعبة .. فقد عملنا معاً بمنتهى الجدية ، وسخرنا كل وقتنا للعمل ، وأنجزنا الكثير ، كما كانوا بالنسبة لي كأفراد أسرتي ، وكانت أشعر بالتزام هائل تجاههم . في الوقت نفسه ، كنا قد اعتقـنا لتـونا رأساً كبيراً جداً من رؤوس القاعدة هو خالد شيخ محمد ، وكانت أمني النفس بأن أكون في منصبي عندما نضع أيدينا على أسامة بن لادن ، ونقدمه للعدالة .

كما أتذكر أن هذه الفترة كانت تشهد تواصل جلسات استماع لجنة 11 أيلول ، ولست بحاجة لمعرفة كيف كانت ساحة لتبادل الاتهامات بين المسؤولين لأهداف سياسية . وكانت سأدعى للشهادة سواء كنت في

منصبي أم خارجه ، وكان ضميري لا يسمح لي أن أترك الوكالة دون أن تتعافي مما تعانيه من مصاعب لمن يأتي بعدي لتولي إدارتها أيًّا كان . ومن هنا مضيت أواصل مهامي حتى إشعار آخر !

ولكن بدأ اتهامي بتوريط الرئيس في مسألة أسلحة دمار صدام الشامل يظهر من جديد ، مع تواصل أعمال لجنة 11 أيلول ، وبدا لي أن الإدارة مستمتعة بتعليق الحبل في رقبتي أمام الرأي العام ، في الوقت الذين يسربون فيه الأكاذيب عنى للصحافة ، فقلت لنفسي أنه يتبعن على الرئيس الذي

خدمت أنا وهو سوياً أن يتدخل لكي تظهر الحقيقة ، ويوقف الحملات الإعلامية ضدي ، والتي راحت تتسع في نشر ما زعمه بوب وودورد في كتابه حول "سلام دانك" إحدى الأكاذيب التي مررها إليه مسؤولون بالإدارة . وحدث أن قمت بالاتصال ب آندي كارد كبير موظفي البيت الأبيض لأعرب عن غضبي الشديد وشكواي من أن شخصاً ما في الإدارة قد علق هذه المسألة في رقبتي بمنتهى الحقارة ، التي لم أرها في حياتي من قبل.

وخلال الأسبوعين الستة التالية ، رحت أبحث مع زوجتي ستيفاني وشقيقتي بيل ونائبي جون ماكلوكلين وجون موسيمان وبيل هارلو من جديد مسألة تقديم استقالتي . كما تحدثت مع ديفيد بورين وصديق القديم كين ليفيت الذي عمل معى في مجلس الشيوخ وخدم معى مرة أخرى كمستشار لي في CIA

. وكان شقيقتي بيل ضد الاستقالة لأنه رأى أنها ستجعل الإدارة تفعل في ما يحلو لها . فقلت له : "لقد فعلوا ذلك معي بالفعل ، ولا أزال في منصبي ". ستيفاني أيضاً كانت تعارض استقالتي ، لأنها لم تكن تريدينني أن أترك منصبي والبلاد في حالة حرب ورجالنا ونساؤنا يعرضون أنفسهم للخطر في الميدان

بأفغانستان والعراق . أما بالنسبة لي فقد كنت أعرف الإجابة . للأسف بالنسبة للخارج أصبحت مصداقتي في الحضيض . واستمراري لن يضر إلا CIA وحدها .

وهنا ظهر الشخص الوحيد الذي سيحسم ترددى ، ويؤكد صحة موقفى الرامى للرحيل عن منصبي .. هذا الشخص هو لويس فريه صديقى القديم والذي كان قد استقال من منصبه كمدير لمكتب التحقيقات

الفيدرالي " إف . بي . آي " قبل ثلاث سنوات . وتقابلت معه على الطريق بالصدفة ، وبعد

توقف سيارتينا ، دار بيننا الحديث . قال لي " : نعم حان وقت رحيلك .. وإليك سينариو ما ينبغي عمله ." قال فريه : حدد موعدها أولاً ؟ .. قلت : الخميس .. أربعة أيام من الآن . " فقال " : حسناً .. في لكن الخميس .. تذهب أولاً للقاء الرئيس وإبلاغه عزمك الاستقالة وإصدارك بيان رسمي في الصباح التالي تعذرها فيه .. وتطلب منه الاحتفاظ بخبر الاستقالة سراً حتى تعذرها .. وهذا وبمجرد موافقته تذهب من عنده إلى CIA وتعذرها لموظفيك .. ولا تسمح بمرور أكثر من 12 ساعة بين إبلاغك الرئيس بالاستقالة والإعلان عنها لموظفيك من ناحية ، والإعلان عنها من ناحية أخرى .. وهذا هو

السبب في أنني لا أنسنك بتقديمها في الصباح الباكر ، أوفي منتصف اليوم .. عليك لقاء الرئيس في وقت متأخر من اليوم .. وكلما تأخر الوقت أكثر كلما كان ذلك أفضل بالنسبة لك .. واسواً ما يمكن أن يحدث لك هو معرفة موظفيك بخبر استقالتك قبل أن تبلغهم بنفسك .. لا تضع نفسك في هذا الموقف .

وذهبت إلى المنزل سعيداً بمقابلتي لويس ، وقررت أن أتبع السيناريyo الذي رسمه لي ، ونمت ليلة هائنة ، بل أفضل ليلة نمت فيها قرير العين منذ شهور ، لا منذ سنوات . وطلبت آندي كارد الأربعاء لأحدد موعداً مع الرئيس في مساء اليوم التالي ، ولم يسألني كارد السبب ، وبعد فترة اتصل ليحدد لي الثامنة مساء الخميس موعداً لقاء الرئيس ، وحمدت ربى لأن خطة

لويس تسير على ما يرام . وبالفعل التقى الرئيس وكان معه كارد وقلت له " : حان وقت الرحيل .. إنني في الخدمة سنوات طويلة ..ولي ابن في حاجة لوجودي بجنبه .. وعائلة في حاجة لوجودي بجنبها .. وقد فعلت كل ما بوسعي .. وهذا وقت مناسب لرحيلي عن منصبي .. وأنما مصر بقوه على ذلك ." متى تريد الإعلان عنها ؟ .. هكذا بادرني الرئيس .. قلت : صباح غد .. وهذا انزعج بوش ليس بسبب الاستقالة ، وإنما بسبب زيارة كان رئيس وزراء استراليا جون هيوارد سيقوم بها لواشنطن في نفس اليوم الذي سأعلنها فيه .. وكان بوش لا يريد أن يعكر صفوفها نياً استقالتي ، لا سيما وأن هيوارد كان شريكنا في حرب العراق

وأفغانستان .. وقال الرئيس أنه سيتكم على الأمر ، حتى انتهاء مؤتمر هيوارد الصحفى في نهاية زيارته . وقال الرئيس لآندي كارد : لن نخبر أحداً .. ولن تخبر رئيس .." وقد شكرت الرئيس على موقفه.

وعندما هبطت سلم البيت الأبيض كانت زوجتي ستيفاني تنتظرني على ممض .. أبلغتها بما حدث .. فما كان منها إلا أن قالت لي : تبدو وكأنك عدت في السن إلى الوراء وصغرت عشرين عاماً ." وبالفعل استقلت . وفي اليوم التالي ذهبت إلى مكتبي للمرة الأخيرة ، وذكرت أن ملك الأردن عبد الله

كان قد أرسل لي سيجارة كوبياً ، احتفظت به في مكتبي فتناولته وأشعنته ، ورحت أمشي في أنحاء مقر الوكالة ، وكانت هذه هي طريقي الخاصة في إلقاء تحية الوداع على المكان الذي أحببته.

حصاد الهشيم : سويقات هناء وسنوات شقاء

كان الطريق الذي قطعته كمدير CIA منذ أن سرت بصحبة جون دوتش على رصيف شاطئ "سي آند أو" قرب حانة أولد إنجل، مليئاً بالانتصارات والانكسارات وبدرجة تفوق بكثير مما كان بمقدوري أن أتخيله. ومع ذلك فلم يمنعني تنازلي - طوعية - عن عجلة القيادة في تموز عام 2004 الهدوء الذي عادة ما يتبع العاصفة . وفي الحقيقة فإن أداء المجتمع الاستخباراتي قد أصبح محلًّا للنقاش - من جديد . في حملات المرشحين المتنافسين في انتخابات الرئاسة عام 2004 . وقد تولد عن هذا الجدل الدائر - وقتذاك - من السخونة ما يفوق بكثير ما تولد عنه من نور . بكل حزب حاول أن يجهز على الآخر مستخدماً المخابرات الأمريكية كمطية . وأدى النقاوش أيضاً إلى ظهور رغبة محمومة لإعادة تنظيم المخابرات ، ولكن الطريقة التي دار بها هذا الجدل ، أثناء الحملات الانتخابية لم تسفر إلا عن تعاظم الشعور الكاذب بالتقدم والأمن.

ولكن مرت الانتخابات بسلام ، وتجاوزت الأمة المنعطف الخطير .. وبعد هذه الانتخابات ، بوقت قصير ، فاجأني بريت كافانوف سكرتير الرئيس بوش بمكالمة هاتفية يبلغني فيها بأن الرئيس قرر منح وسام الحرية ، أرفع وسام في أمريكا . وأوضح لي كافانوف أنه سيتم تكريمه ومنح أوسمة

مماثلة للجنرال تومي فرانكس وجيري بريمر الحاكم الأمريكي السابق في العراق مع في نفس الاحتفالية . والحقيقة أنني لم أكن متأكداً من أنني فعلاً أريد قبول مثل هذا الوسام . فنحن لم نجد أسلحة دمار شامل في العراق ، ولم نجد في هذا البلد ، خلال فترة ما بعد الحرب ، تلك "الكعكة الصفراء" - "بورانيوم الناجر" - التي زعم البعض وجودها قبل الحرب . وسألت كافانوف عن الدافع وراء رغبة الرئيس في تكريمي ، وطلبت منه أن يقرأ لي الت nomine الذي ينوي الرئيس إلقائه قبل تكريدي الوسام . ولحسن حظي أن البيان الرئاسي المصاحب لتكريدي الوسام كان كله

يتعلق بانجازات وكالتي في مكافحة الإرهاب ، دون أي إشارة تذكر للعراق . وقد شعرت بالراحة لذلك . وقلت لنفسي : الآن أستطيع قبول الوسام ، على أساس هذه الحيثيات ، ليس من أجلي ، ولكن من أجل وكالتي ، ومع ذلك فإنني حتى هذه اللحظة لم أكن مقتنعاً – تماماً - بقبوله ، وأبلغت كافانوف بأنني سأعود الاتصال به ، لأبلغه بردي النهائي.

لقد كنت أفهم ما يدور في كواليس السياسة تماماً ، وأعلم الدوافع التي تقف وراء القرارات كقرار منح الوسام مثلاً ، ولكنني ثمنت الوسام على أنه تكريم لرجال ونساء CIA الذين أدوا واجبهم على النحو الأمثل في مواجهتهم لهجمات أيلول . كما كان لدى أمل كبير في أن يكون في الوسام خير خاتمة لمشواري الوظيفي ، وخير عزاء لأسرتي ، التي ربما يخفف هذا التكريم من وطأة ماعانته معي في أوقات العمل العصيبة ، وصدقوني إذ أقول أن كل كلمة نقد أو لوم كانت توجه لي ، سواء صغيرة أم كبيرة ، كانت تؤلمهم بنفس درجة إيلام المصائب الكبرى.

وفي حفل التكريم ألقى الرئيس بوش كلمة أشاد فيها بدوري ودور رجال ونساء CIA الذين كما قال كانوا في تلکم الآثناء يؤدون واجبهم ، ويخدمون بلادهم معرضين حياتهم للخطر . وفي هذه اللحظة كم كان مبلغ سعادتي عندما نظرت لإبني الصغير ، فوجدت ملامح الزهو والفاخر والسعادة ترسم على محياه . ومع ذلك ، فقد تقلدت الوسام ، وانتهى حفل التكريم ، ولكن الجدل الدائر حول القضايا ، التي لطالما كانت تقد مضجعي استمر ، بل وتصاعد.

ولكن ما يهمني هنا هو أن أتحدث عن الدروس المستفادة من واقع خبرتي وتجاربي: -

أولاً وأهم من كل شيء لابد من القول بأن المخابرات ليست هي الرد الوحيد على أي مشكلة معقدة . فغالباً بل وفي أفضل الأحوال ، فإن 60% فقط من الحقائق المتعلقة بأي قضية أمن قومي هي القابلة للكشف عنها ، أو معرفتها ، والمخابرات تحاول أن ترسم صورة واقعية لموقفه عينه على أساس تفسيرات الخبراء وتحليلات المعلومات التي تم جمعها . أما النتائج هي ، وبصفة عامة انتباعية ونادراً ما ت تعرض أو تقدم على أنها نتائج قاطعة أو حاسمة . ومع ذلك ، فالقدرة على الوصول إلى هذه

الانطباعات ليست بالأمر الهين وإنما هي مسألة بالغة الصعوبة ، ومن أجل أن يتحقق ذلك ، كان لزاماً على أي أمة أن تدرس اهتمامها ، ومواردها لدعم قدراتها المخابراتية في كل الأوقات ، ليس فقط في وقت الأزمات ، لأن ما تفقده أجهزة المخابرات في سنوات التجاهل ، لا يمكن تعويضه بسرعة ، مهما كانت الجهد المبذولة من أجل أن تستعيد عافيتها هائلة . وما يبذل اليوم من جهود لارتقاء بالمخابرات ، لن نجني ثماره إلا بعد عقود من الزمان.

ومن المهم أيضاً أن نقول أنه وبغض النظر عما تقدمه المخابرات من تقييمات ، وبغض النظر عن مدى صحة هذه التقييمات ، إلا أنه لا يجب أن تكون هي كل ما يعتمد عليه صانعوا السياسة ، ولا يجب أن تتشكل المخابرات وحدها السياسة . فالمخابرات الجيدة ليست بديلاً عن حسن الإدراك ، الذي يجب أن يتمتع به الساسة من صناع القرارات ، والقدرة على التفكير في عواقب أفعالهم وقراراتهم.

لقد كان الإرهاب والعراق القضيتين الأكثر إلحاحاً خلال فترة تولي بي منصبي ، ولكن على الرغم من أهميتهما ، فإنهما لا ينبغي أن تحجا عن العيون قضايا أخرى في منطقة الشرق الأوسط المضطربة ، فهذه المنطقة أقل استقراراً اليوم من أي وقت مضى من ربع القرن الغابر . فامن إسرائيل الآن في خطر داهم يفوق ما كانت تواجهه في أي وقت مضى . وقد دخلت الولايات المتحدة الحرب في العراق وتصرفت كما لو أن ما نفعه هناك لا علاقة له بعملية السلام في الشرق الأوسط ، ولا ما يجري من أحداث في لبنان ، أو سوريا ، أو الصراع الأوسع نطاقاً ضد الإرهاب ، بينما هذه القضايا متداخلة ، وتقضي الآن استراتيجية تتضمن النظر إليها على أنها مرتبطة ببعضها البعض ، ولا يمكن التعامل معها منفصلة !! وسأضرب لك مثلاً بالمصير المظلم الذي بات فيه مستقبل عملية السلام بين الفلسطينيين

والإسرائيлиين . فلو كنا كأمريكيين قد حاولنا بجدية إحياء مفاوضات السلام قبل عدة سنوات مضت ، لكننا قد تمكنا من تفادي العداء الذي اشتعل ضدنا في العالم السنوي وخلق مناخاً يسمح بإقرار سلام وأمن في الشرق الأوسط ، والأهم مناخ يحول دون تحول المنطقة إلى حضانة للتطرف الإسلامي كما هو الحال اليوم .

وبالنسبة لحديثنا عن عملية التحول الديمقراطي في الشرق الأوسط ينبغي علينا أولاً وقبل كل شيء أن نفهم أن شعوب المنطقة في حاجة إلى أساس يسمح لها بالانتقال إلى صورة من صور الحكم النيابي الذي يختارونه بأنفسهم وحسب المسار الذي يحددونه بأنفسهم . وأننا على قناعة بأننا لو

حاولنا أن نجعل من العالم صورة مكررة منا فسوف نفشل بالتأكيد .. ولكن لا يزال علينا أن نعمل على إيجاد حلول لمشكلات المنطقة ، لأن الشرق الأوسط الذي وإن كان هو مهد الحضارة إلا أنه أيضاً يمكن أن يكون مقبرتها . وما يزيد من عدم الاستقرار في الشرق الأوسط هو الحرب الدائرة في العراق وما تطرحه من تحديات . وسوف تخضع دوافعنا لدخول هذه الحرب للبحث والنقاش لسنوات طويلة قادمة . واعترف بأننا بشكل أو باخر قد شاركنا فيما حدث ، لا سيما وأن الإدارة دخلت الحرب متذرعة بمعلومات

مخابراتية ، صحيح نحن لا نتحمل مسؤولية ما حدث ، ولكن كان من الممكن أن يكون صوتنا أعلى ، ونحن نحذر من الاعتماد على تقييمات المخابرات ، التي لا ينبغي أن تكون هي أساس أي قرار سياسي خطير مهما بلغت نسبة صحتها ، لأنها في النهاية مجرد تقييمات ، وليس حقائق مجردة.

إن أهم درس نخرج به من حربنا في العراق هو أن القوة وحدها ليست الوسيلة القادرة على حل جميع المشاكل ، وأن هناك جبال يستعصي على القوى العظمى مهما أottiت من قوة تسلقها . ومن هنا فأنا لا أعتقد في جدوى تعزيز القوات الأمريكية في العراق أو زيادة أعدادها ، بعدما اكتسب العنف المذهبي زخماً ودفعاً ذاتياً ، وأعتقد أن وجود القوات الأمريكية ، لم يعد له أي دور في احتواء العنف ، وبعيد العراقيين وحدهم تحديد طبيعة الدولة التي يريدونها ، وما إذا كانت لديهم الرغبة والتصميم على القيام بعملية مصالحة وطنية تسمح لبلادهم أن تبقى موحدة . ولا يجب أن يجعلوا من الوجود الأمريكي شماعة لتعليق فشلهم في اتخاذ القرارات المصيرية التي تتعلق بمستقبل أمتهم .

وبالنسبة لإيران لا بد لنا من التحدث معهم ، بدلًا من استمرارنا في رفض التفاوض المباشر معهم ، وسوف لن نخسر شيئاً لو فعلنا ، ولم نصل إلى شيء ! ورغم ذلك فإن الولايات المتحدة لدى تركي منصبي في

شهرتموز 2004 قد أضحت بفعل جهود وكالتي في وضعية أكثر أمناً مما كانت عليه قبل أحداث الحادي عشر من أيلول ..وهنا يبرز السؤال الذي لا يزال يسيطر علينا جميعاً : هل كان من الممكن تفادي هذه الهجمات ؟! فعلى الرغم من الكم الهائل من عمليات تقصي الحقائق التي قام بها أعضاء لجنة الحادي عشر من أيلول والصهاينة والمولفون وغيرهم كثير فإن هذا السؤال يواصل مطاردة جميع من لهم علاقة بمكافحة الإرهاب في الولايات المتحدة .لقد خلصت كل من لجنة الحادي عشر من أيلول وللجنة التحقيق المشتركة التابعة للكونغرس الأميركي إلى أن منع حدوث الهجمات أمر مستبعد ، ولكن ذلك لا يمكن الكثيرين من التساؤل :ماذا لو كان هناك ما يمكن القيام به لمنع وقوعها ؟ بالتأكيد لا أدعى أن بوسعي تقديم إجابات قاطعة في هذا الصدد ، ولكن بإمكانني إزالة بعض مظاهر اللبس والحيرة والتشویش وسوء الفهم ، التي تحبط بالفرص المهدرة ، التي تحدث عنها آنفاً ، ومنها تحذيراتي للإدارة من وقوعها ، دون أن أجده منها آذاناً صاغية .ولا زلت أعتقد ومن واقع خبرتي أن القاعدة لا تزال موجودة في أمريكا وتنتظر اللحظة المناسبة للهجوم من جديد ولا أستبعد أن تستخدم في المرة القادمة سلاحاً نووياً ، لأن هذا سيغير مجري التاريخ ، وهذا هو جل ما يريده أسامة بن لادن !! وأستطيع هنا القول أننا لن ننجح في معركتنا ضد الإرهاب ما لم نقتسم مشاكل البيئة التي يتربى فيها ، ونفعل شيئاً لكي تكون في هذه البيئة حكومات أمينة ، وتجارة حرة ، وتنمية اقتصادية ، وإصلاح التعليم وحرية سياسية ، واعتدال ديني .ويجب أن تشجع العالم الإسلامي على إجراء حوار داخلي

لحل مشكلاته وقضاياها ، في الوقت الذي يتعين على الغرب ونحن منه تحمل مسئوليياتنا تجاه مساعدته مادياً وسياسياً لحل مشاكله .

وفي نهاية كتابي أقول إنني ، عندما كنت في منصبي ، قد بذلت كل ما يسعني لكي أنوب عن الشعب الأميركي في تقديم الشكر لكل العاملين الأفذاذ في مخابراتنا على كل ما ي فعلونه من أجلنا جميعاً . وبينما مثل وجودي في وضعية المدافع والمتحدث الأول باسم CIA تحدياً ، وخروجي من منصبي وعلى وجهي الوظيفي بعض الندبات ، إلا أنني أيضاً أمضيت لحظات رائعة من السعادة مع رفافي الذين خاضوا غمار مخاطر جسيمة نيابة عن أمريكا وحلفائها ..وعندما أفكر في كل ذلك

أتساءل : هل لوعاد بي الزمن ...هل أخوض نفس هذه الرحلة مرة ثانية
؟ ..إجابتي هي:
نعم ..وبكل دقة من دقات قلبي.